الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

قسم: الفلسفة

تخصص: فلسفة تطبيقية

الدولة عند جان جاك روسو

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

تخصص: فلسفة تطبيقية

من إعداد الطلبة:

✓ كردوسي فطيمة

✓ هباش آية

✓ لجنة المناقشة

الأستاذ المشرف	الأستاذ الرئيس	الأستاذ المناقش
الحاج علي كمال	مراجي رابح	كافي فريدة

السنة الجامعية : 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة: 11]

شكر و تقدير

الحمد والشكر لله عز وجل على عونه لنا لإنجاز هذا العمل المتواضع.

كما نتقدم بالشكر للأستاذ المشرف **الحاج علي كمال** الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته و نصائحه لنا ، كما ساهم في إثراء بحثنا و جعله مادة علمية ،ونشكر أيضا أستاذنا **عبد الحميد العالم** الذي أعاننا بمعلوماته القيمة

كما نقدم كل الشكر لكل من أعطانا يد العون بكثير أو قليل من قريب أو من بعيد على إخراج هذا العمل إلى النور ،

و كل الشكر للجنة المحترمة التي قبلت مناقشة هذا العمل المتواضع.

راجين من كل هذا تحقيق الهدف المنشود.

آية هباش

فطيمة كردوسي

الإهداء

الحمد لله وكفى والصلاة على حبيب المصطفى وأهله ومن وفى أما بعد:

الحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد والنجاح وبفضله تعالى مهداة إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله ،وأطال في عمرهما وأدامهما نورا لدربي.

إلى سندي القوي أخواتي حفظهم الله.

وإلى جدتي فطيمة التي لم تبخل علي بالدعاء أطال الله عمرها.

وإلى خالتي **منى** التي اعتبرتها أمي الثانية والتي ضحت من أجلي ،أطال الله في عمرها.

وإلى كل من ساهم معي إنجاز هذا العمل خاصة الأستاذ **الحاج علي كمال** ،والأستاذ عبد الحميد العالم ،دون أن أنسى أستاذتي الفاضلة **سعاد بوعاتي** لتوجيهاتها التي أفادتني كثيرا وفقها الله في حياتها.

وإلى كل الصديقات والرفيقات اللواتي رافقنني في مشوار الدراسة وعلى الخصوص **آية ،لبيبة ،سعاد ،أحلام؛ إلهام ، نسرين** أتمنى لهم النجاح في الحياة

إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي

فطيمة كردوسي

الإهداء

الحمد لله الذي وفقني و ألهمني،بهذا العمل المتواضع ،أهدي ثمار جهدي إلى أعز ما أملك

نبع الحنان أمي الغالية و إلى رمز العطاء أبي الغالي .أدامهم الله لي.

إلى الذين يسرهم وجودي ،عائلتي الثانية زوجة خالي **مليكة** و أبنائها إخوتي الذين عشت

معهم أجمل لحظات حياتي ،**رمزي** ،**سمير** ،**ريمة** ،**كهينة**.

الى صديقاتي: فطيمة، **فريال** ، **أسماء** ، **فيدة**،**صوفيا** ،**ريان** ،**لبيبة** ،.

و أصدقائي **عبد الحق** و **شمس الدين** ،كنتم خير سند لي.

و الى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد

الى طلبة قسم الفلسفة و عمالها..

أرجوا أن يكون بحثنا خالصا لوجه الله،و أن تكون فيه الفائدة ، وأن يغفر لنا فيه زلاتنا و

يثيبنا على ما وفقنا اليه و يكتبنا مع طلبة العلم.

و شكرا

آية هباش

الخـــــطـــــة

مقدمة

الفصل الأول : التأصيل التاريخي لمفهوم الدولة

المبحث الأول :مفهوم الدولة .

المبحث الثاني :نشأة الدولة .

المبحث الثالث : علاقة السلطة بالدولة.

الفصل الثاني :معالم الفكر السياسي عند روسو

المبحث الأول :نظرية العقد الإجتماعي .

المبحث الثاني : الإرادة العامة و السيادة عند روسو .

المبحث الثالث: الحكومة عند روسو .

الفصل الثالث :أبعاد الفكر الروسوي .

المبحث الأول : أثر روسو في الفكر السياسي الغربي .

المبحث الثاني : أثر روسو في الفكر السياسي العربي .

المبحث الثالث: أوجه النشابه و الإختلاف بين روسو و جون لوك.

خاتمة .

المقدمة العامة

مقدمة

يعتبر القرن الثامن عشر من أهم مراحل تطور الفكر السياسي الغربي و نشأة الدولة الحديثة .لقد استطاعت الفلسفة السياسية الحديثة معارضة الدولة الدينية كما صورتها الكنيسة ، حيث رسخت هذه الفلسفة ثقة الإنسان في قدرات عقله و تجاوز سلطان الكنيسة ،فأضحى موضوع الدولة الحديثة التي تحقق طموح الإنسان الحديث موضوعا للبحث الجاد للكثير من الفلاسفة للخروج من مرحلة الجمود و الاستبداد إلى مرحلة بناء مجتمع سياسي قادر على خلق أفكار جديدة تساهم في بناء دولة قائمة على القوانين ،لقد استطاع فلاسفة القرن الثامن عشر تقديم تصور جديد عن الكون و الإنسان و المجتمع و الدولة ،و تغيير الوضع القائم خاصة في المجال السياسي ،و ما تعلق بالدولة ،و نجد من هؤلاء الفلاسفة :توماس هوبز ،جون لوك ،جون جاك روسو.

لقد تبلور مفهوم الفكر السياسي الحديث في عصر التنوير حيث قام على فكرة أن الإنسان انتقل للعيش في الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية ليزداد حرية و يتمتع بالعدالة ،و يؤمن على نفسه و ممتلكاته و أطلق على هذا التصور بنظرية العقد الاجتماعي .

ورغم اتفاق فلاسفة العقد الاجتماعي حول فكرة التعاقد كأساس لبناء دولة ،إلا أن روسو انفرد عن سابقيه (هوبز ، لوك) .

لاقت أفكار روسو السياسية رواجا كبيرا بين السياسيين و أضحت مصدر الهام للثورة الفرنسية خاصة بعد خطابه الأول بعد سنة 1749،ثم صدور كتابه العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية و اعتبرت أفكاره السياسية مرجعا في مفهوم الدولة و أساس قيامها و العلاقة بين الحاكم و المحكوم و الحقوق المترتبة عليه لذلك اخترنا تناول موضوع الدولة في الفكر السياسي الغربي الحديث جون جاك روسو نموذجا.

و من أهم أسباب اختيارنا لهذا الموضوع هو الاهتمام بالفكر السياسي الغربي و اهتمامي بالخصوص بانجازات روسو السياسية و الفلسفة و مدى تأثير فلسفته على مدى التاريخ ،و أن تأثير روسو لم ينحصر فقط على المجتمعات الغربية ،بل امتد حتى الى المجتمعات العربية ،فقد ترجمت كتبه من طرف مفكرين عرب مثل:عادل زعتر ،عبد الله العروي و غيرهم ..

إن مواضيعه عن مبادئ العقد الاجتماعي التي تقوم على أساس (الحرية ،المساواة ،العدل)لقيت رواجا في معظم الدول العربية لأنها شهدت فترة استعمار فهذه المبادئ وحدها تجعل الإنسان سيدا .

و قد استهوت أفكار روسو كثير من الباحثين حيث أنجزت الكثير من الدراسات الأكاديمية و نذكر على سبيل المثال :رسالة الماجيستير للباحث الحاج رباني الموسومة ب :نظرية العقد الاجتماعي كتأصيل للحقوق الإنسان عند لوك ،هوبز ،روسو ،قسم الفلسفة ،جامعة الجزائر ،سنة 2002،2003 ، التي تناولت العلاقة بين حقوق الإنسان و نظرية العقد الاجتماعي .غير أننا سنحاول التركيز في بحثنا هذا على موضوع الدولة و نشأتها و المبادئ التي يقوم عليها .

و في أيطار انجاز هذا البحث سنحاول مناقشة الإشكالية الآتية :

ما مفهوم الدولة عند روسو ؟ و ما السبيل لإنشاء مجتمع سياسي عادل؟

و تندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من المشكلات الفرعية التالية :

ما السياسة عند روسو؟كيف يستطيع أن يشكل مجتمع بطريقة تحمي الفرد و ممتلكاته بطريقة يشعر فيها الإنسان بانتمائه إلى هذا المجتمع و يخدم فيها الآخرين دون التنازل عن حريته ؟ ما أثر أفكار روسو على الفكر السياسي الحديث المعاصر ؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا خطة بحثنا إلى ثلاث فصول،كل فصل يتضمن ثلاث مباحث .

ففي الفصل الأول كان موسوما بالتأصيل التاريخي للدولة ، تناولنا في المبحث الأول المفهوم اللغوي و الاصطلاحي للدولة و مفهومها عند بعض الفلاسفة و المبحث الثاني نشأة الدولة عبر مراحل التاريخ ،أما المبحث الأخير فهو فعن علاقة الدولة و السلطة كونهم مكملين لبعضهم البعض .

تناولنا في الفصل الثاني معالم الفكر السياسي الروسوي ، حاولنا الإجابة فيه عن الإشكالية ،والذي يندرج عنه ثلاث مباحث الأول تناولنا فيه نظرية العقد الاجتماعي بداية بالفيلسوف بهوبز و لوك و روسو و تصورهم لحالة الطبيعة و كيفية الانتقال من الحالة الطبيعية إلى المجتمع المدني ،و في المبحث الثاني تناولنا فيه الإرادة العامة و السيادة .فالإرادة العامة صاحبة السيادة و أن السيادة للشعب ،أما بالنسبة للمبحث الثالث ،فقد تضمن الحكومة و أنواعها و الحكم الأفضل عند روسو .

أما الفصل الأخير كان موسوما بأبعاد الفكر الروسوي فهو يحتوي كذلك على ثلاث مباحث ،في المبحث الأول الذي يتضمن أثر روسو في الفكر السياسي الغربي فروسو كان له تأثير على المجتمع الغربي و مساهمته في القيام

بالثورة الفرنسية أما في المبحث الثاني نجد أثر روسو على الفكر السياسي العربي فهنا ترك روسو أثر واسع على المفكرين العرب من أمثالهم :فرح أنطوان ،عبد الله العروي.

أما المبحث الثالث و الأخير فقد أجرينا مقابلة بسيطة بين لوك و روسو باعتبار أن فلاسفة العقد الاجتماعي توجد بينهم وجهات نظر مختلفة

و في إطار انجازنا لهذا البحث اعتمدنا على مصادر روسو خصة كتابه "العقد الاجتماعي و أصل التفاوت بين الناس" حيث يشرح في كتابه الأول نظريته حول نظرية العقد الاجتماعي ،التي تفسر نشأة الدولة ،أما الكتاب الثاني فتناول فيه العدل كأساس لقيام الدولة .

ولقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج التحليلي و ذلك من اجل تحليل أفكار روسو السياسية .

الفصل الأول

المبحث الأول : مفهوم الدولة

إن الحديث عن موضوع الدولة هو حديث عن شأن عام يخص الحياة العامة للمجتمع ، حيث أن المنشأ الطبيعي للدولة هو المجتمع.فالدولة من أعظم ما توصل إليه الإنسان ،من خلال استخدام قدراته العقلية في تنظيم حياته و من هنا عرف الإنسان بأنه كائن سياسي.

و إذ بحثنا في تاريخية استخدام مصطلح الدولة نلاحظ إن استخدامه ليس استخداما حديثا مقرونا بظهور الدولة الحديثة ،بل كان استخدامه منذ القدم ،فقد ورد في كثير من الكتابات السياسية و الفلسفية القديمة كاليونان مثلا .غير أن مفهوم الدولة لم يكن واحدا بل تعدد بتعدد وجهات نظر المفكرين و الفلاسفة ، نظرا لتعدد انتماءاتهم الثقافية و الفكرية و المذهبية.

إن هذا التعدد و التباين في تحديد ماهية الدولة يدعونا إلى الاستقصاء و البحث عن ماهية الدولة.

من الناحية اللغوية : إن استقصاء المعنى الحقيقي للدولة في المعاجم و القواميس يتبين أنها تتباين من معجم إلى آخر ،فقد جاء في اللغة العربية الدولة بتشديد الدال هي اسم الشيء الذي يتداول ،"هي الفعل و الانتقال من حال إلى حال"[1]

و الدولة"بالفتح في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى،و يقال كانت لنا عليهم الدولة ،و بالضم في المال ، يقال صار الفئي دولة بينهم يتداولونه مرة لهذا و مرة لهذا " ،في القرآن الكريم قوله عز وجل :"ما أفاء الله عل رسوله من أهل القرى فالله و الرسول و لذي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل كي لا يكون دولة من الأغنياء منكم و ما أتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا و اتقوا الله إن الله شديد العقاب "سورة الحشر الآية 07.

و قوله تعالى :"إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله و تلك الأيام نداولها بين الناس و ليعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء والله لا يحب القوم الظالمين"سورة آل عمران –الآية140.

من الناحية الاصطلاحية تعود أصل كلمة دولة status إلى تيارات مختلفة "فهي مجتمع منظم يعيش على إقليم معين يخضع لسيطرة هيئة حاكمة ذات سيادة ،و يتمتع بشخصية معنوية متميزة عن المجتمعات الأخرى ."[2]

أي أن الدولة تستهدف إلى تنظيم و تسيير الشأن العام.

فالدولة "مجتمع منظم له حكومة مستقلة تميزه عن غيره من المجتمعات و المماثلة له ".[3]

---

[1]ابن منظور، لسان العرب،المجلد1،إعداد و تصنيف يوسف الخياط ،دار لسان العرب،بيروت ،(د.ت)،ص1043 .

[2]أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ،مجلد 1،تر:خليل أحمد ، ط1 ، منشورات عويدات ،لبنان ،1996،ص368.

[3]مراد وهبة ،معجم فلسفي ،دار فباء الحديثة ،2007،ص315.

وإذا رجعنا إلى جميل صليبا في معجمه الفلسفي فيرى إن الدولة :"جمع من الناس مستقرون في أرض معينة مستقلون وفق نظام خاص ،أو هي مجتمع منظم له حكومة مستقلة و شخصية معنوية تميزه عن غيره "[1]

الدولة هي" وحدة قانونية تتضمن وجود هيئة اجتماعية ،لها حق ممارسة التشريعات القانونية في مواجهة أمة مستقرة على إقليم محدد تباشر حقوق السيادة في إرادتها المنفردة عن طريق استخدام القوة المادية التي تحتكرها وحدها ".[2]هي جماعه مستقلة من الأفراد بصفة مستقر بين الطبقة الحاكمة و المحكومة .

كاري دي وليبر'' الدولة بأنها، مجموعة من الأفراد مستقرة على إقليم معين، ولها من التنظيم ما يجعل للجماعة في مواجهة الأفراد سلطة عليا آمرة وقاهرة، ويعرفها، ''أسمان'' بأنها، التشخيص القانوني لأمة ما، ويرى الرئيس الأمريكي الأسبق، ''ويلسون '' إن الدولة هي شعب منظم خاضع للقانون يقطن أرضا معينة.

[1]جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ،ص548.
[2]مارسيل بريلو ،علم السياسة ،تر:محمد برجاوي ،ط3 ، منشورا عويدات ،بيروت ،1983،ص9.

المبحث الثاني : نشأة الدولة و ظهورها عبر التاريخ

لقد اهتم الفلاسفة منذ القدم بالفكر السياسي كونه ظاهرة سياسية تعني بحكم المجتمعات الإنسانية و إدارة شؤونها داخليا و خارجيا ،كما أنها متمثلة باسم الدولة عند البعض و السلطة السياسية عند الآخرين .و هذا ما يجعلنا نعرف مصطلح الدولة عبر التاريخ و كيف تبلور هذا المفهوم من فلاسفة اليونانيين القرون الوسطى حتى بروزه بشكل فعال في العصر الحديث مع فلاسفة العقد الاجتماعي هوبر و لوك و روسو ،حي برزت معهم المحافظة على حقوق الإنسان الطبيعية و وعي الشعوب نحو تحقيق الأمن و الاستقرار.

اذ أن تاريخ الفكر السياسي سلسلة من الحلقات المتتالية تكون كل حلقة مكملة لسابقتها و منها يؤخذ الجهد و الفكر ممن أنتجه السابقون ليضيف و يعدل عليه أفكاره .باختلاف الزمان و المكان.

فالفكر السياسي الغربي ولد من رحم اليونان و سمي "بالعصر الذهبي" لتبلور الفكر فيه حيث امتد من القرن الخامس قبل الميلاد حتى القرن الثاني قبل الميلاد تقريبا،قدم فيه مساهمات فكرية بالغة الأهمية فنجد رجال سياسيون اشتهروا بالحكمة من أبرزهم سقراط ،أفلاطون ،أرسطو و السفسطائيون .

فقد سعى السفسطائيون إلى تغيير نظام المجتمع و تجديد الفكر في شتى مجالات الحياة و قد حددوا مشكلة الفلسفة في الجدل القائم حول التعرض حول الموجود بالطبيعة و الموجود بين العرف و الاتفاق ". [1]فهم أول من وجهوا النظر إلى الفكر السياسي و اتجهوا إلى صاحب السيادة في الدولة و اعتبروا أن السلطة لا تعدوا أن تكون القوة أو الغاية التي تمارس على الذين استولوا عليها ،إذ انتقلنا إلى سقراط قد خالف السفسطائيين ،فاعتبر أن الفضيل هي المعرفة فهي تعلم و تتعلم و نه يمكن القول أنه ناقد للديمقراطية و نظامها لأنها تفرض المساواة بين من يعرف و لا يعرف،و بين العالم و الجاهل ،فالإنسان روح و عقل يسيطر عليه الحس .و القوانين العادلة تصدر عن العقل ة تطابق الطبيعة الحقيقة للإنسان.يجب على الحكم أن يكون بيد الحكماء و الخبراء و المدربين و على دراية تامة بالشأن السياسي .

[1]أميرة حلمي مطر ،الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس ،ط5، دار المعارف ،كورنيش النيل ،القاهرة ،1995، ص12.

و لقد ساند أفلاطون فكرة أستاذه سقراط في أن الفضيلة هي المعرفة ،و أن الفلاسفة الحقيقيون يمكنهم تولى رئاسة المدينة ،فالفيلسوف يمتلك الحكمة و الشجاعة و يدرك حقائق الوجدان و جواهرها فهو مختلف عن البقية ومتميز عنهم لذا الناس متفاوتون في قدراتهم ،و العدالة أن نحترم هذا التفاوت و هذا ما يبينه في كتابه الجمهورية في قوله :"أن كل الأشياء تكون أوفر مقدارا و أجود نوعا و أسهل إنتاجا .إذ التزم العامل بما يميل إليه طبعه من الأعمال و أتمه في وقته الخاص ،غير متشاغل عنه فيما سواه".[1]

و هذا يعني بأن الاختلاف في القدرات العقلية و المهارات يترتب عنه أن العمل وفقا بما يناسب هذه القدرات ومنه جاء بما يسمى بالتعايش داخل الجماعة كل فرد يعمل بما يناسب ذاته و يعرف دوره ليكتمل كل دور في هذه العملية الجماعية و يتحقق مدينة فاضلة أو مجتمع فاضل حسب أفلاطون و لهذا انقسمت الدولة الى ثلاث طبقات حسب مراحل لنفس الثلاث :

الطبقة العامة : يخص بها العبيد و الحرفيين و الصناع .

طبقة الحراس: يخص بها الجنود.

طبقة الحكام : يخص بها الفلاسفة .

و هذا التفسير استوحاه من القوة ، حيث نجده قسم النفس الثلاث :

النفس الغاضبة : وهي للعبيد

النفس الشهوانية :للحراس

النفس العقلانية :الحكام

لقد قسم أفلاطون الدولة إلى مرحلتين مرحلة الشباب و مرحلة الشيخوخة .فالمرحلة الأولى تحدث عن الأنظمة بأن الدولة ناتجة عن اجتماع بشري ،لتلبية حاجة الفرد لابد من الانضمام إلى الدولة لم تظهر

[1]أفلاطون ،الجمهورية ، تر:حنا خباز ،المطبعة المصرية ،القاهرة ، مصر ، ص111.

إلى قبل القرن الرابع ق.م ،حيث لا وجود لمعالم الدولة الواحدة ،فقد كانت كل قبيلة أو عشيرة بمثابة دولة .حيث أن اليونان بدأت بقبائل ثم عشيرة إلى مدينة إلى دولة إمبراطورية جمهورية .

و ميز أفلاطون بين أربع دول في الحكم :

الدولة التيموقراطية :يكون الحكم فيها للجنود و الحراس أولادهم يهتمون بجمع الأموال و الثروات و هذا ما يجعلهم يتخلون عن الأمور السياسية و التخلي عن المصلحة العامة .

الدولة الأوليغارشية :الحكم فيها للأغنياء شعارهم ،الغني يبقى غني و لفقير يبقى فقير و لا يحق لطبقة الفقراء الحكم لأنه ستعم الفوضى .

حكم الأقلية يكون الحكم فيه فئة من المجتمع يتميز بالمال .

الدولة الديمقراطية :مشاركة الأغلبية في الحكم، حيث لدى الجمهور الحرية التامة في ما تفعلوه في الحكومة .

الدولة الديكتاتورية أو الاستبدادية :يكون تطبيق الحكم صارم فالحاكم لديه السلطة الكاملة و القوة و أن الحكم فردي مخول بفعل ما يريده في الرعية و هذا ما يؤدي إلى انقلاب و تمرد عليه ، و تستمر الدورة.

يعتبر أفضل أنواع الحكم لديه هو الحكم الأرستقراطي الذي تحدث عنه في كتاب لقوانين.

مرحلة الشيخوخة :

تراجع عن النظام الأرستقراطي (الجماعة)التي تساهم في إدارة الدولة أو فرد يحكم فرد.

الأطفال الذين يجب أخذهم هم طبقة الحراس (الجنود).

المرأة المشاعة بين رجال هذه الطبقة فقط...

في كتابه القوانين ركز في مسألة العقوبات يجب توجيهه لأن الشعب سيتمرد.فقد أكد على فكرة القانون لأنه الرادع للشعب و لحماية الدولة .فطبقة العبيد و التجار و الصناع دائما لديهم الرغبة في

الوصول إلى الحكم حيث منعهم من ذلك المشاركة في الحكم لأنهم يجهلون المبادئ السياسية إذ وصلوا تحقق عدم الاستقراء في الدولة .

أهم فكرة لديه في مسألة العدالة تحقيقها بين الأفراد من خلال القيام كل فرد بوظيفته،فالعدالة لا تعني المساواة في اللامساواة توجد مساواة فرضتها الطبيعة ".[1]

حيث أن اللامساواة فرضتها الطبيعة لا يمكن التخلص منها ،فالدولة في رأيه تكون عادلة إذا رضي الصانع بوضعه و لم يرتقي بعمل لم تؤهله له طبيعته. أما المساواة فهي أداء كل فرد لواجباته مع احترام القانون.

كما أرجع أرسطو بنشوء الدولة لتلبية حاجيات الإنسان المختلفة و قد مرت بمراحل،أولى المراحل نشأتها هي الأسرة ،فهي الوحدة الاجتماعية الأولى من ناحية لتطور التاريخي،فهي نموذج مصغر للدولة قائمة علة مبدأ أساسي يتمثل في الأب، هذا الأخير له السلطة المطلقة و التي تكون على الأبناء فقط،أما الزوجة فلا يمارس عليها السلطة حيث يجب عليها و على أبنائها المحافظة على الأسرة.

إن كثرة الأسر ينتج لنا قرى ،حيث أن الوالدان يعملان على تلبية حاجيات أبنائهم الموجودة داخل القرية و التي يتطلبها أفرادها، و بتعدد القرى يتشكل مجتمع المدينة الذي يسعى من خلاله الأفراد إلى تحقيق التكامل داخل المجتمع فيما بينهم، حيث العلاقة بين الأفراد داخل المدينة يشبهها أرسطو بأعضاء الجسم فالمدينة هي الجفن،و الأفراد هم الأعضاء ،كما أن المدينة لا تستقل إلا من خلال وجود نظام يحكم الأفراد،غايته حفظ المصلحة العامة.

يميز أرسطو بين الأنظمة الصالحة و الفاسدة كما يلي:

نبدأ بين الحكومات الصالحة و التي تشمل الحكومة الملكية أو الدستورية و هي تعمل على تحقيق المصلحة العامة تكون فيها السلطة للفرد أي حكم فردي ،فإذا كان صالحا ينجز مهام الدولة لكنه يتحول إلى حكم استبدادي إذا فقد الملك نفوذه و سلطته.

الحكومة الأرستقراطية و هو حكم الأقلية أو النخبة و هو أفضل أنواع الحكم ،ففيه يسلم زمام الأمور للحاكم فيتناسى مطالب الرعية و يتحول من ارستقراطي إلى أوليغارشي.

[1]أفلاطون ،الجمهورية ، تر:فؤاد زكريا ، دار الوفاء للطباعة و النشر ، الإسكندرية ،القاهرة ، ص90.

الحكومة الديمقراطية و هي الحكم الجماعي أو الأغلبية يحق للجميع في المشاركة في الحكم مما يقود إلى أشخاص غير كفئ للحكم فتعم فيه الفوضى فيتحول بعدها إلى حكم استبدادي و لهذا "لم يكن أرسطو راضيا عن هذا النوع من الحكم ".[1]

الحكومات الفاسدة تشمل الحكومة الاستبدادية أو الطاغية حيث تكون السلطة للفرد الحاكم يحقق فيها مصلحته الشخصية دون إتباع القانون و رغم إرادة المحكوم.

الحكومة الأوليغارشية تكون السلطة في يد الأقلية ،حيث أن الأغنياء من يتولون الحكم لتحقيق مصالحهم الشخصية متجاهلين الفقراء.

الحكومة الديماغوجية أو الغوغاء و "هي نظام حكم فوضوي تكون فيه السلطة للجماعة "[2]أي الأغلبية من الفقراء حيث يستغلونها ضد الأغنياء.

لقد تكون الفكر السياسي في العصور الوسطى على مبادئ الدين المسيحي،حيث أدى إلى ظهور فلاسفة سياسيين مسيحيين كانت أبرز المواضيع التي خاضوها عن علاقة الدولة بالكنيسة،من أبرزهم القديس أوغسطين اهتم بالدين و نقله للمجال السياسي.فقط أكد على اعتناق الدين المسيحي الذي به تتحقق العدالة السياسية و الاجتماعية معا و أكد على الخضوع لسلطة الكنيسة و تطبيق أوامرها،وأن الدولة المسيحية القريبة من الله تنعم بالاستقرار و تتجنب الحروب و الانهيارات السياسية و الاجتماعية.سلم بوجود مدينتين هما المدينة السماوية و المدينة الأرضية ،حيث يرى في مدينة الله الذي يمثلها الله تكون السلطة روحية قوانينها مستمدة من الكنيسة يفضلها أوغسطين لأن الحكم فيها: بعيد عن الظلم تطبق فيها أسس المسيحية.

أما المدينة الأرضية أو مدينة الشيطان فهي بفعل الملذات حيث تتحول فيها محبة الله إلى الشيطان و الاستسلام له ، حيث أن القوانين تكون عملية يسيرها العقل له.

أيضا نجد طوما الإكويني فتقوم الدولة عنده مثل أرسطو "بأن الإنسان كائن اجتماعي"[3] ، و المجتمع نتيجة للطبيعة الاجتماعية للإنسان ،فإنه لا يستطيع العيش في معزل عن غيره فأساس الحياة السليمة يكمن في تحقيق الفرد للحياة الاجتماعية.كما أن الدولة عنده تقوم بتجسيد سلطة الرب من خلال تطبيق معالم المسيحية المفوضة من الله ،فالله هو المسئول الوحيد في تسيير العالم ،فبدون الله كالإنسان بدون عقل.

---

[1]يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة اليونانية ،مطبعة لجنة التأليف و لترجمة ،مصر ، ص 118.

[2]محمد نصر مهنا ،في تاريخ الأفكار السياسية ،و تنظيم السلطة ،المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية ، 1995 ،ص62.

[3]جورج سعد ،تطور الفكر السياسي في العصور القديمة و الوسطى ، منشورات الخير الحقوقية ،بيروت ،لبنان ،2000،ص146.

يعتبر النظام الملكي أفضل نظام يشترط فيه إقامة مجلس يشمل فيه عقلاء ،يوجد فيه حاكم واحد فيه و هو سلطة الرب.

ميز بين أربع قوانين:و هو القانون الأزلي: و هو قانون يسير من طرف الرب و القانون الطبيعي: و هو قانون معترف به بين البشر ، تفرضه الطبيعة و يعيشه الإنسان ،القانون الإلهي :يكون وفق للتعاليم التي تسير بها الكنيسة ،و القانون البشري: قانون بصيغه الإنسان وفق العقل.

المؤلف البروتستانتي فرانسو أوتمان :والذي بين أن النظام الفرنسي القديم كان يعترف بإرادة العامة للشعب التي كان يمارسها عن طريق مجلس الأمة الذي كان من حقه خلع الملك ونقل التاج من أسرة إلى أسرة.

ولقد اهتم المفكرون المسلمون بالتنظير للدولة الإسلامية بعد الخلافة العثمانية ،حيث آنذاك كان اهتمامه متعلق بالسلطة و ليس الدولة لذلك فالدولة قد حظيت باهتمام المفكرين و الباحثين في جميع المجالات السياسية،الاجتماعية ،التاريخية ،الاقتصادية ،فنجد لها عدة تعاريف ففي الفكر الإسلامي المعاصر فهي المظهر الأعلى للوحدة السياسية التي توحد. بين جماعة من الناس،حسب تعريف السيد الصدر الأول)." [1]فقد ورد في القرآن الكريم و الأحاديث الشريفة كلمة دولة بمعناها اللغوي و الاصطلاحي ففي سورة الحشر:"كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم"سورة الحشر .أي لا يكون المال حكرا فقط على الأغنياء بل أيضا لنا في المجتمع.

لم يذكر مفهوم الدولة في القرآن الكريم بصريح العبارة فقد ذكر بصورة غير مباشرة.لكن هناك ألفاظ ذكرت تدل على السلطة السياسية للدولة. كلفظ ملك في الآية الكريمة " وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا" سورة الكهف –الآية 79.

قوله تعالى "قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً " سورة النمل ، الآية 34

لقد شهد القرآن على الدول التي أقامها الأنبياء كالنبي يوسف و داوود، سليمان،و أصحاب الكهف،دولة فرعون فنجد أن الأحاديث قد ورد فيها مصطلح الدولة في قوله صلى الله عليه وسلم:"إن للحق دولة و للباطل دولة"

إن مفهوم الدولة الإسلامية يختلف عن المفهوم الغربي حيث أنها تسعى للحفاظ على المجتمع على حماية الأفراد و حماية مصالحهم،فالفرد يعتبر الركيزة و القاعدة للمجتمع،"فالدولة الصالحة هي الجهاز الذي يسخر لخدمة الفرد و مصالحه".[2]

[1]يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ،دار العلم ،بيروت ،لبنن ، 1979،ص198.

[2]عودة عباس فرج ،الدولة في الفكر الفقهي عند السيد محمد باقر الصدر ،مؤسسة آفاق للدراسات و الأبحاث العراقية ،بغداد ،2009،ص30.

كما أنها تعمل على توفير تربية أخلاقية خاصة، إضافة إلى اهتمامها بتغذية الإنسان روحيا و "تنمية العواطف الإنسانية و المشاعر الخلقية".[1] فإنها تعمل على بناء الإنسان من الجانب الخلقي و الديني لأداء دوره في الدولة فلقد وصفها المفكرون الإسلامية ،إن الدولة الإسلامية هي دولة غائية ،تقوم على نشر الدعوة و إقامة الدين عن طريق الشرعية و السلطة.

من ابرز المفكرين المسلمين نجد ابن خلدون يعرف الدولة" بأنها ظاهرة في كل مرة تنتهي فيها الدورة السياسية"

و هذا ما نجده في كتابه أيضا في مقدمة ابن خلدون :"إن أحوال العالم و الأمم و عوائدهم و نحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة و منهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام و الأزمنة و انتقال من حال إلى حال ،و كما يكون ذلك في الأشخاص و الأوقات و الأمصار فإن ذلك يقع في الآفاق و الأقطار و الأزمنة و الدول"[2].

إذن فالدولة دائما معرضة لعدم الاستقرار و قابلة للتغيير عبر الزماكنية.

يعرف الدولة بأنها"كائن حي له طبيعته الخاصة به، و يحكمها قانون السببية، و هي مؤسسة بشرية طبيعية و ضرورية ،و هي أيضا وحدة سياسية و اجتماعية لا يمكن أن تقوم الحضارة إلا بها.

كما أنها ظاهرة في كل مرة تنتهي فيها الدورة السياسية في نظره لا دائمة و لا مستقرة".[3]

فالتاريخ السياسي يتطور في حركة انتقال من حركة البداوة إلى الحضارة ،وكون الإنسان كائن اجتماعي يحتاج إلى بني جنسه من حيث المعاش اليومي و الأمان دفعه إلى التزاوج و العصبية التي تولد في نفوس الألفة بين الجماعة و الأفراد فالدولة عنده هي الامتداد المكاني و الزماني لحكم عصبية.

لقد أعطى للدولة عمر زمني حيث يمتد هذا إلى مئة و خمسون عام حيث قسمه إلى ثلاث مراحل أو ثلاث أجيال و قد شبه مثل عمر الإنسان.

الجيل الأول :الطفولة و هي مرحلة البداوة فبالرغم من انتقال المجتمع البدوي إلى المدينة فإن أفراده لا يزالون على نفس الصفات البدوية

الجيل الثاني :الشباب و هي مرحلة الحضارة فبعد الانتقال إلى الحضر ،لم ينسوا أصبهم في مرحلة البداوة ،حيث كان عيشهم في حالة ترف و بذخ.

الجيل الثالث: الشيخوخة مرحلة زوال و السقوط .متناسين الجيلين السابقين ،نسوا البداوة و الخشونة و فقدوا مظاهر العز و العصبية.

---

[1]محمد حربي ،ملامح الفكر السياسي في الإسلام ،ط1 ،دار الوفاء للطباعة و النشر ،2010، ص49.

[2]ابن خلدون ،المقدمة ،دار إحياء التراث العربي ،ط4،بيروت ،ص28.

[3]علي سعد الله ،نظرية الدولة في الفكر الخلدوني ،دار مجداوي ،عمان ،2003،ص20.

أطوار الدولة:

طول الظفر:يكون فيه الجميع في حالة بداوة و الحكم يشترك فيه الجميع ،و الحاكم يكون واحد منهم على وفاق مع الشعب و عصبيتهم.

طور الاستبداد:تصنيف دائرة الحكم و منع الحاكم أهل عصبيته من المشاركة في الحكم و تسيير شؤون الدولة.

الفراغ و الدعة:و هي الاهتمام بزيادة الثروة و تخليد الآثار و تشييد المباني و المدن.

الاستسلام أو القنوع أو المسالمة : يكتفي صاحب الدولة بما بناه و يكون مقتنع،و يرى الخروج عن السلف السابق ابتداع و فساد.

التبذير و الإسراف :يكون الحاكم متلف لما جمع من ثروات التي جمعها الأولون في سبيل الشهوات و الملذات بالاشتراك مع حاشيته.

يعد الفرابي* من بين الفلاسفة الإسلاميين الذين اهتموا بالفكر السياسي،حيث أكد على ضرورة الاجتماع البشري فالإنسان "مدني بطبعه يميل لطبيعته إلى الاجتماع الآخر و يرى أن هذا الميل الفطري في الإنسان.فالإنسان المفرد لا يستطيع أن يحقق كماله بنفسه".[1]

حسب رأي الماروردي فان الإنسان كائن اجتماعي بطبعه و فطرته ، حيث توجد اختلافات بين البشر بين قدراتهم و صفاتهم هذا الاختلاف يجعل الإنسان مميزا و تنوعه هذا يكمل الأخر فيحقق توزن في المجتمع.كل إنسان له قدرة خاصة به وهبها الله له يستغلها في وظيفة تلائمه ،فالكل يساهم في المجتمع بما يناسب قدراته.

إن الماروردي ينظر إلى الأحكام الدستورية نظرة قيادة ،فالدولة لديه تكون بالإمامة فهو يعتبرها منصب ديني و سياسي ، فهو جامع بين السلطة الدينية و الدنيوية .حيث يرى: "إن الإمامة موضوعة لخالفة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا ..." فهي أهم مناصب الدولة، بل هو يضفي عليها قدرا

* علي سعد الله ،نظرية الدولة في الفكر الخلدوني ،دار مجداوي ،عمان ،2003،ص20.

* ابو نصر بن محمد فارابى ر محمد (260ه 874م) -(339ه 950م).ولد ب فاراب في إقليم تركستان (حاليا كازخستان) لُقب باسم الفارابي نسبةً للمدينة التي ولد فيها وهي فاراب. يعُتبر الفارابي فيلسوفاً ومن أهم الشخصيات الإسلامية التي أتقنت العلوم بصورة كبيرة مثل الطب و والفلسفة والموسيقى كما نجد له الدور في إدخال مفهوم الفراغ في علم الفيزياء، مساهماته: ترك 200 رسالة في فروع متنوعة من المعرفة ، علق على العديد من مؤلفات ارسطو ، من اشهر اعماله لآلئ الحكمة،وأفكار مواطني المدينة الفاضلة، والرسائل الفلسفية، والكتاب الكبير في الموسيقى، وتُرجمت أعماله إلى اللاتينية والعبرية. الكتاب الكبير في الموسيقى ، اطروحته تحت عنوان في الفراغ ، أطروحات في علم النفس.

[1]عبد لسلام بنعيد ،الفلسفة السياسية عند الفرابي ،ط4، دمشق ، لبنان ، 1997 ، ص517.

من القداسة لان الإلمامة خالفة للنبوة تستهدف حراسة الدين ووالية أمور المسلمين وهي واجبة شرعا"[1] .

تكون السلطة للحاكم الذي يشرف على الدولة ، فهو يدمج السلطة الروحية و السياسة ، حيث يقول الماوردي في كتابه أحكام السلطانية: "أنه لو لا الدولة لكان الناس فوضى مهملين، وهمجا مضاعفين"[2]أي انه لولا وجود الحاكم لكان الناس يعيشون في فوضى و سادت في البلاد كل مظاهر العنف و لعم الفساد،فالحاكم لديه إمام خليفة للأنبياء تكون له قدسية خاصة ، يعمل على تسيير الأمور الدنيوية حسب الشرع و الدين.

أهل الاختيار: المقصود بها "أهل العقد والحل"

و هم الجماعة الذين يوكل لهم مهمة اختيار الحاكم ،حيث تكون وفق خصال أساسية :

أ- العدالة الجامعة :فحسب الباحثين يقصد بها التقوى ، و الحكمة نوعان عند الماروردي الأولى تكون قولية بقول الصدق و الحق و الثانية فعلية و هي بفعل الصواب.

ب- العلم الذي يتوصل بع إلى معرفة من لا يستحق الإمامة .

ج-الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو لإلمامة أصلح، وبتدبير المصالح أقوم وأعرف[3]

شروط الإمام:

إن شروط الإمامة حسب الماروردي النسب فحسب الحديث الشريف "الأئمة من قريش" وقوله عليه السلام "قدموا قريشا ولا تتقدموها"

يجب على الحاكم أن يكون سليم الحواس و الأعضاء لا يعاني من أي مرض يعيقه عن انجاز مهام الدولة ،"فهو شرط يتعلق بالقدرات العقلية والبدنية "[4] فلا يمكن توكيل الحكم إلى حاكم عاجز لا

[1]إمام عبد الفتاح إمام، ألخالق والسياسة، المجلس الأعلى للثقافة، دط، دس، ص11.
[2]أحمد وهبان، الماوردي رائد الفكر السياسي الإسلامي، مرجع سابق، ص4.
[3]إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق والسياسة، مرجع سابق،ص217.
[4]محمد،وقيع الله مدخل إلى الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص100.

يقوى علة إدارة مصالح الدولة و هذا لكي لا تدار أمور الدولة خلف ظهره فيعمل على استغلال صلاحيات الدولة و استخدامها للمنفعة الخاصة .

اعتبر الماروردي أن الحاكم له السلطة المطلقة في تسيير الدولة كونه يستمد الأحكام و القوانين من القرآن و السنة النبوية ، فهو يعامل الرعية بما يقتضيه الشرع و ما يرضاه الله ، أما بالنسبة لطريقة اختياره فتكون مسألة شكلية .

ونجد الفيلسوف نيكيولا ميكيافيلي (1527-1465): م.

كان من أشد المعجبين بالجمهورية الرومانية ،حيث اعتبرها مثله الأعلى لكونها ناجحة في الحكم.

كانت ايطاليا في وقته تفتقر لمفهوم الدولة ،فقد كانت تشهد فساد أخلاقي ،اجتماعي و سياسي أدى إلى حروب أهلية ،كما أنها قسمت إلى دول- مملكة نابولي-في الجنوب ،البندقية -ميلان-في الشمال الغربي،-جمهورية البندقية -في الشمال الشرقي، -جمهورية فلورينسا،-الدولة البابوية [1]- في الوسط.

ميكيافيلي أول فيلسوف فصل الأخلاق و الدين عن الدولة لأنهما يخضعان للقوانين السياسية،فكل الطرق مشروعة من أجل تحقيق الدولة لأهدافها و من بينهم فرض السيادة، المحافظة على الدولة فلا يمانع من استخدام الحيل و وسائل القمع مادامت تأتي بنتيجة ،و الغاية تبرر الوسيلة.

أنواع الحكومات.:

النظام الجمهوري :يكون فيه الحاكم مختار من طرف الشعب،تجسد فيه الحريات و معرفة الشعب بحقوقه و واجباته ،لكن مع الوقت يحدث انقلاب و فوضى بسبب سعي مل شخص إلى فرض شخصيته.

هو الأحسن من حيث تقدم الدولة حيث يعترف بكفاءات الفرد يجعله مبدعا،كما يعطي حق الأفراد باختيار حاكمها، حيث أن الحاكم يتم تفويضه من طرف الشعب و إعطائه السلطة الكاملة في تقرير المصلحة العامة ،فإن حاول تحقيق مصلحته الشخصية يحدثون ثورة و انقلاب إليه.

النظام الملكي: و فيه تكون الحكومة طاغية أو استبدادية ،يقوم على الحكم الفردي ،تتجلى فيه مظاهر العبودية فهو عقيم لا يضمن استقرار الدولة و لا حرية أفرادها ،كما أنه يقمع الكفاءات و يجعل الدولة على حالتها.

[1]نور الدين حاروش ،تاريخ الفكر السياسي ،دار الأمة للطباعة والنشر و التوزيع ، ط3 ، الجزائر ، 2009 ،ص80

المبحث الثالث : علاقة السلطة بالدولة :

قبل التطرق إلى طبيعة العلاقة بين السلطة و الدولة يجدر بنا تحديد مفهوم السلطة ،إن الحديث عن السلطة ليس جديدا، بل موضوع يمتد في جذوره من القدم سواء كمفهوم أو ممارسة ، حيث أنها لقى اهتماما واسعا من المفكرين في محاولة إجابتهم عن مفهوم السلطة و عن طبيعة العلاقة التي تربطها بالدولة.

يصعب تحديد مفهوم السلطة نظرا لكونها ظاهرة متطورة و تأخذ أشكالا مختلفة.

فالسلطة من السَّلاطة:القهر: و قد سلَّط الله فتسلط عليهم[1]

السلطة هي القدرة على إصدار الأمر و تنفيذه في المسائل الدينية ،السلطة تفيد الوحي.

كما يعرفها جميل صليبا :"السلطة في اللغة هي القدرة و القوة على الشيء،و السلطان الذي يكون للإنسان على غيره،و لها عندنا عدة معان ،حيث قسم السلطة إلى سلطة نفسية :و هي قدرة الإنسان على فرض إرادته على الآخرين لقوة شخصيته"[2].

و السلطة الشرعية :و هي سلطة معترف بها في القانون كسلطة الحاكم،و الوالد،القائد.تكون مختلفة عن القوة لأن صاحب السلطة الشرعية يوحي بالاحترام و الثقة، في حين صاخب القوة يوحي بالخوف و الحذر.

سلطة الدولة في النظام الديمقراطي مستمدة من إرادة الشعب غرضها حفظ حقوق الناس و صياغة مصالحهم، أن اختل و فرض سيطرته لم يضمن بقائه.

السلطة الدينية:الوحي الذي أنزله الله على أنبيائه و سنن الرسل،و قرارات المجامع المقدسة و اجتهادات الأئمة.

السلطات هي الأجهزة الاجتماعية التي تمارس السلطة ،كالسلطات السياسية ،الدينية و القضائية ".[3]

يمكن تعريف السلطة على أنها القدرة على التأثير على سلوك الآخرين نجد بأن القوة تتميز عن السلطة كونها تتحقق بالطاعة .

توجد علاقات كثيرة مشتركة بين الدولة و السلطة لان الدولة ركيزة المجتمع غايتها الحفاظ على الحقوق الطبيعية ،فالدولة الكيان السياسي الوحيد يستطيع المحافظة و ضمان الحقوق الإنسانية و تحقيق السعادة و العدالة لذ ا فالدولة ترتبط بالسلطة لأنها عبارة عن أشخاص منتخبون من طرف الشعب ليحققوا الخير للمجتمع، فبدون وجود السلطة لا توجد الدولة و بدون الدولة لا توجد السلطة فهناك توافق

[1]ابن منظور ،لسان العرب ،ص 64.
[2]جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ، ص670.
[3]مراد وهبة ،المعجم الفلسفي ،ص361.

سياسي قائم بين الدولة و السلطة فهي تسعى جاهدة للدفاع عن الأفراد و مصالحهم و تحقيق الأمن و الأمان .

يقول الفيلسوف فلازويل بان علم السلطة ما هو إلا ممارسة بوصف نظاما معرفيا و تجريبيا و "أنها عبارة عن مجموعة من العلاقات الإنسانية المتداخلة تتسم على وجه الاستقرار من الحلم أو السلطة"[1]

.لا يمكننا أن نفصل بينهما لأنهم يساهمان في تطوير المجتمع من جميع النواحي القانونية ،الدينية ،الثقافية..

يرجع نشوء السلطة و الدولة بكون الإنسان يحتاج إلى أخيه الإنسان من اجل التعايش و تحقيق رغباته الاجتماعية البعيدة عن التعسف و العنف.

[1]بوتمور، تمهيد في علم الاجتماع ، مرجع السابق ص 214

خلاصة الفصل الأول:

– ويمكن القول في النهاية أن الدولة بدأت منذ العصر اليوناني عند السفسطائيين على يد مفكرين وفلاسفة وصولا إلى فيلسوفنا العظيم جون جاك روسو الذي رأى بأن هدف الدولة هو بناء نظام سياسي منظم الحياة البشرية من أجل تحقيقهم الأمن والسلام.

– هناك علاقة وطيدة بين الدولة و السلطة فالدولة هي الوحدة الأساسية و السياسية التي تعمل على الحفاظ على المجتمع و الحفاظ على حقوقه الطبيعية و تحقيق السعادة له، و السلطة تكون مستمدة من إرادة الشعب للمحافظة على حقوق الناس و صياغة مصالحهم ، فبدون سلطة لا توجد دولة و دون دولة لا توجد سلطة فكلاهما يكملان بعض ،لا يمكننا أن نفصل بينهما لأنهم يساهمان في تطوير المجتمع من جميع النواحي القانونية ،الدينية ،الثقافية..

– يرجع نشوء السلطة و الدولة بكون الإنسان يحتاج إلى أخيه الإنسان من اجل التعايش و تحقيق رغباته الاجتماعية البعيدة عن التعسف و العنف.

الفصل الثاني

المبحث الأول : نظرية العقد الاجتماعي

تبلورت فكرة العقد الاجتماعي منذ القدم،حيث لعبت فكرة العقد الاجتماعي دورا كبيرا في بناء نمط التفكير وساهمت في بناء قواعد جديدة للدولة،ويعتبر من بين المفاهيم والمصطلحات التي يؤدي إلى وجود تعاقد واتفاق بين البشر من أجل التخلص من الحرب والصراع ،ومن بين الفلاسفة المحدثين الذين ساهموا في بروز هذا المصطلح ،نجد جون لوك وتوماس هوبز وجون جاك روسو ،فما هي نظرتهم للعقد الاجتماعي؟

يعرفه أندريه لالاند في موسوعته الفلسفية :

أ. هو اتفاق يلتزم بمقتضاه شخص أو عدة أشخاص تجاه شخص أو عدة أشخاص بتقديم شيء ما،بالقيام أو بعدم القيام بشيء ما.

ب. في الفلسفة بنحو أخص،يقال عقد على ما يكون ثنائي الطرف،أو متعدد الطرف أي ما يتضمن التزامات أو تعاهدات متبادلة.

-إن العقد الاجتماعي حسب جون جاك روسو هو مجموع المواثيق أو المواضعات الأساسية التي تتضمنها الحياة في المجتمع.» .[1]أما في معجم جميل صليبا يرى بأن للعقد عدة معاني وهي:

العقد في القانون اتفاق بين شخصين أو أكثر يلتزم كل منهم بمقتضاه دفع مبلغ من المال،أو أداء عمل من الأعمال لشخص آخر أو لعدة أشخاص.

والعقد الاجتماعي اتفاق افتراضي بين أفراد المجتمع،يوجب على كل منهم ،وهو في الحالة الطبيعية إن يعهد في شخصه وفي كل ما لديه من قدرات إلى الإرادة العامة التي تنظم بها حياة الكل.يقول روسو:"إن الإنسان يربح بالعقد الاجتماعي حريته المدنية،وإن خسر به حريته الطبيعية."[2]

أما فيما يخص ابن منظور في كتابة لسان العرب يعرفه بأنه نقيض الحل،عقده،يعقده،عقد،أو تعاقدا وعقده وأعتقد."[3]

يمكن القول بأن العقد الاجتماعي هو عبارة عن اتفاق وتعاقد بين شخصين أو أكثر،أو عدة أشخاص بين بعضهم البعض من أجل نشأة الدولة،فالعقد الاجتماعي يعني أن الناس في الماضي كانوا يعيشون في الحالة الطبيعية التي تفتقر إلى الحكومة والقوانين التي تنظم حياتهم،وبهذا هم في تلك الظروف واجهوا صعوبات

[1]أندريه لالاند :موسوعة أندريه لالاند الفلسفية ،تعريب خليل أحمد،المجلد 1,منشورات بيروت،ط2،باريس،ص224.
[2]جميل صليبا،المعجم الفلسفي،دار الكتاب اللبناني،ج1،(دط)،بيروت،1982،ص62.
[3]ابن منظور:لسان العرب، ،ص296.

ومآسي كثيرة وعدم الانتظام ،ولكي يتغلبوا على تلك المشاكل ،كان عليهم أن يدخلوا في اتفاق ،ولكن بالنسبة لروسو ولوك لم تكن الحالة الطبيعية مؤذية وشريرة مثل هوبز.

أولا– توماس هوبز :

أ– الحالة الطبيعية عند هوبز :

ترجع أصول هذه النظرية إلى السوفسطائيين الذين رأوا أن الإنسان يصنع القيم بإرادته،وأن النظام السياسي هو نظام اتفق الأفراد على تكوينه للسهر على مصالحهم،فهو بذلك نظام غير طبيعي قائم على أساس من الاتفاق أو التعاقد بين الأفراد،لتحقيق حمايتهم وخلصوا من ذلك إلى أنه مادام أن الأفراد تعاقدوا على إنشاء هذا النظام فلا يجوز أن يكون حائلا دون تمتعهم بحقوقهم الطبيعية."[1]

وإذا رجعنا إلى الفلسفة السياسية الحديثة،نجد أن موقف العقد الاجتماعي قد كان له حضور كبير في كتابات الكثير من الفلاسفة المحدثين،من بينهم توماس هوبز* الذي رأى :"إن الحالة الطبيعية الأولى تنطلق من منطلق محدد هو التنافس الذي يقوم على الخوف ،مما يؤدي إلى صراع وحرب،قد تطيح بالبناء كله ،وتلك حالة قد خلت من كافة القواعد الأخلاقية ،إلا المصلحة الشخصية التي يسعى الإنسان إليها بكل ما لديه من قوة وقدرة على الخداع والاحتيال،ومن ثمة فلكل فرد الحق في إن يحصل على ما يستطيع الحصول عليه ويأتي بأي وسيلة كانت."[2]من خلال هذا تصور هوبز الحالة الطبيعية الأولى والإنسان في حالة الطبيعة يعيش في حالة حرب ودمار،وهي حالة يملأها الشر والصراعات والحروب الدموية والكل ضد الكل،ويسعى كل فرد القضاء على الآخر،مما تجعلهم هذه الحروب في خوف دائم ومستمر،لأنه لا يوجد قانون أو سلطة يخضع لها الأفراد تردعهم،وبالتالي يعيشون في خوف وخداع وأنانية وقوة.

" فالحياة الطبيعية هي حياة الغابة في الصميم،كل الناس فيها أحرار،وكل فرد فيها مستعد لتدمير الآخر،إذا تعارض مسعاهما وتضارب مرامهما."[3] فالحالة الطبيعية في نظر هوبز هي حياة الحرب المستمرة والجميع ضد

---

[1]فضل الله محمد إسماعيل،الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث،بستان المعرفة للطباعة والنشر،ط1،الإسكندرية،ص17.

*توماس هوبز Thomas Hobbes :ولد في (1588-1679) في بلدة مالميسبوري في مقاطعة ويلتشاير بإنجلترا،كان والده يعمل مساعدة قس ،ويعاني من شقاق الأسرة،هجر أسرته فكفله عمه وتعهد بتربيته،إستطاع وهو في السادسة من عمره إتقان اللغة اليونانية واللاتينية ،دخل جامعة إكسفورد ،درس المنطق المدرسي والطبيعيات ،عمل خدمة بيكون ،كاتما لسره ومعاونا له في نقل مولفاته إلى اللاتينية،وكان له آراء سياسية في عصره،ومن مولفاته :كتاب في مبادئ القانون الطبيعي والسياسي 1640،كتاب المواطن1642،كتاب التنين1651،كما كتب رسائل موجزة في السياسة.، فضل الله محمد إسماعيل ،نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي ،ص ص 57.58.

[2]فضل الله محمد إسماعيل،المرجع السابق،ص32.

[3]محمد وقيع الله أحمد ،مدخل إلى الفلسفة السياسية،مرجع سبق ذكره ،ص152.

الجميع،والكل يبحث عن مصلحته الشخصية،فالإنسان ذئب لأخيه الإنسان وهذا الأخير يعيش حرية مطلقة.

ب– الحالة الاجتماعية :

وطالما أن الإنسان قد تنازل بموجب العقد الاجتماعي عن جميع حقوقه ،ماعدا حقه الطبيعي في الحياة والملكية الخاصة،وأعطى هذه الحقوق جميعا للحاكم القوي الذي تكفل ببسط الأمن،"فإذا فشل للحاكم بعد ذلك في صيانة النفوس فقد جاز خلعه والإتيان ببديل عنه حينئذ.[1] فالعقد الاجتماعي عند هوبز هو تنازل هو تنازل كلي ونهائي عن جميع حقوق الناس لصالح الحاكم ،يعني حتى حريتهم تنازلوا عنها للحاكم،فالإنسان بنظر هوبز عاش في مرحلة ما قبل المجتمع بحالة همجية لا أخلاقية تحت سطوة المصلحة الذاتية ،و انعدام الحقوق والقوانين فكان لابد له من إنشاء مجتمع حتى يحقق الإنسان مصالحه.

"وعلى هذا النحو ينشأ الصراع فتلك هي الجذور الأولى لمنشأ الصراع ،كل فرد يريدان يحافظ على ذاته وأن يدعم وجوده ،والمحافظة على الذات تعني إشباع الرغبات،وإشباع الرغبات يتطلب البحث عن أسباب القوة و اكتسابها،وإذا ما اشتد الصراع فإنه يتحول إلى حرب."[2]فحسب روسو كل فرد في صراع مع الآخرين من أجل تحقيق والمحافظة على ذاته،ومن هنا تأتي الحروب وهكذا يصبح كل فرد في صراع مع الآخر ،في حرب مع الكل وذلك لعدم وجود قوة قاهرة توقف الكل عند حدهم وتلهمهم الشعور بالخوف ،ومن الطبيعي في حالة كهذه تنعدم منظومة القيم والأخلاق ،ويصبح مجتمع يسوده الظلم والعنف ،وكل فرد يسعى إلى غريزة حب البقاء.

"وبهذا فإن توماس هوبز يرى إن أول قوانين الطبيعة هو البحث عن السلام ،وثاني هذه القوانين هي رغبة الإنسان في التنازل عن حقه الطبيعي للأشياء ،و الاقتصار على قدر من الحرية يتساوى بحرية الآخرين ،والقانون الثالث هو إتمام التعاقد بين الناس."[3] أول شيء وقانون يبحث عنه الفرد في الطبيعة هو البحث عن الطمأنينة والهدوء وثاني شيء هو الموافقة على التنازل عن حقوقهم وحرياتهم لصالح سلطة الحكومة المطلقة وثالثها هو إنشاء تعاقد يتمتعون من خلاله بالأمان.

"يرى هوبز أن الأفراد اضطروا للهروب من الحالة الطبيعية الأولى إلى التعاقد فيما بينهم لإنشاء تجمعات سياسية ،وهذا التعاقد تم فيما بينهم واختاروا بمقتضاه حاكما لم يكن طرفا في العقد ،ولم يرتبط بذلك تجاههم

---

[1]محمد وقيع الله أحمد،مدخل للفلسفة السياسية،ط1، دار الفجر للنشر و التوزيع ، القاهرة، 2002 ،ص159.
[2]إمام عبد الفتاح إمام ،توماس هوبز فيلسوف العقلانية،د ط ،دار الثقافة لنشر والتوزيع الأزهر،1985،ص304.
[3]أميرة حلمي مطر،الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس ،ط5،القاهرة:دار المعارف،1995،ص61.

بشيء،وخصوصا أن الأفراد تنازلوا بالعقد عن جميع حقوقهم الطبيعية."[1] ويتضح هنا أن الفرد في حالة الطبيعة يعيش حياة صعبة،مما أدت به إلى الفرار والهروب منها،لإقامة عقد سياسي واجتماعي يضمن لهم عيشهم وحقوقهم من خلال حاكم مستبد.

وما يمكننا قوله في الأخير،أن هوبز صور لنا الحالة الطبيعية بأنها حالة غير مستقرة تسودها الفوضى والاضطراب والخوف ،وفي هذه الحياة المزرية التي لا يوجد فيها قانون ولا سلطة فالأفراد يعيشون أعداء لبعضهم البعض ،وأن البقاء للأقوى لا أحد يحترم حقوق غيره،وكل فرد يسعى للقضاء على الآخر،أما في الحالة المدنية أو الاجتماعية يعيش المجتمع في جو من السلام والهدوء والطمأنينة،بخضوع جميع الأفراد إلى القوانين وسلطة الحاكم.

ثانيا–جون لوك:

يعتبر جون لوك* أحد أكبر الفلاسفة والمفكرين ،في تاريخ الفكر الإنساني بشكل عام ،وتاريخ الفلسفة الغربية بشكل خاص،ويعد من أعظم المؤثرين في عصر التنوير الأوروبي ومن أشهر دعاة التسامح ،وترك جون لوك تأثيرا كبيرا على أغلب فلاسفة عصر التنوير كفولتير،وجان جاك روسو وغيرهم...وكان لوك أيضا من أبرز المنظرين السياسيين حتى أنه يلقب بأبو الليبرالية.

لقد تصور بأن الحياة البشرية مرت بحالتين هما:

أ–الحالة الطبيعية:

"الطور الطبيعي وهو عند لوك خلافا لتوماس هوبز طور من الحرية والمساواة التامتين بين جميع البشر،يخضعون فيه لسلطة العقل وسنة الطبيعة."[2] لقد اختلف لوك مع هوبز من نقطة الأولى وهي حالة الطبيعة الأولى للإنسان، فهوبز ادعى أن حالة الإنسان الأولى هي حالة شريرة يملأها الشر والصراعات والحروب ،بخلاف

---

[1]كرم يوسف ،تاريخ الفلسفة الحديثة،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة ،ص45.

.*جون لوك Locke John: ،ولد عام (1704/1632)،في مدينة رنجتون wringitonفي إقليم somerset،ينحدر من أسرة طهرانية من الطبقة الوسطى،إن لم ينل لوك حظا عظيما من التعليم إلا انشغاله بالمسائل العامة،وفطنته كانت له خير معين ليبلغ ما بلغه من العمق في فلسفته السياسية والاقتصادية ،ومن آرائه السياسية انه جعل السيادة للشعب ،وأن الدولة إنما نشأت لحماية حقوق كانت قائمة ،إذ يرى سلطة الحاكم مطلقة ،وإذا حاول إساءة استخدامها فكان من حق الشعب أن يخلعه،دافع بوك عن نظام الحكم الدستوري ،وكان يفرق بين الدولة والحكومة ،ويعتبر لوك من واضعي أسس الديمقراطية في العصر الحديث ،من مولفاته :محاولة في العقل البشري،رسالة في التسامح ،الحكومة المدنية ، جون لوك ،الحكومة المدنية وصلتها بالعقد الاجتماعي،ص5.6.

-[2]جون لوك،الحكم المدني،تر:ماجد فخري،بيروت،اللجنة الدولية لترجمة الروائع،1959،ص18.

جون لوك الذي يرى أن الإنسان كائن مدني بطبعه،وأن الناس في حالة الطبيعة كانوا يعيشون في حالة من الحرب الكاملة في تنظيم علاقاتهم والتصرف في ممتلكاتهم ،كانوا أحرارا يعيشون وفق القانون الطبيعي.

فإن لوك قد افترض أنها :"حالة الحرية الكاملة التي تمكنهم من اتخاذ قراراتهم وتحديد سلوكياتهم وأفعالهم،واستخدام ممتلكاتهم كما يشاءون،في حدود قانون الطبيعة الذي يمليه العقل،وذلك من غير ما حاجة إلى استئذان أي شخص آخر أو الاعتماد عليه في ذلك ."[1] لا يوافق جون لوك طرح هوبز بأن الإنسان كان يعيش في حالة حرب ،أي حرب الكل ضد الكل ،فالحالة الطبيعية عنده كانت حالة غير سياسية تفتقد لتنظيم السياسي يتمكن من الحكم بين الناس في حالة تضارب المصالح ،فالنسبة للوك كانت الحالة الطبيعية تجري وفقا العقل والقانون الطبيعي ويجب على الناس التوفيق بين مصالحهم المتعارضة بنفسهم،يعني أن الناس في هذه الحالة هم قضاة على قضاياهم،وبذلك لا يمكن تحقيق العدالة الكاملة في هذه المجتمعات.

يقول جون لوك :"إن حالة الطبيعة يحكمها قانون الطبيعة ،وهو يضطر كل واحد ألا يضر الآخر في حياته وصحته وحريته وممتلكاته،لأن الناس جميعا من صنع القادر ،وهم جميعا رعية حاكم واحد ،أنهم ملكه قد بعثهم في هذا العالم بأمره وبقاؤهم مرهون بأمره ،وليس لأحد أن يدمر الآخر كما لو كنا قد خلقنا لخدمة بعضنا البعض على نحو ما وجدت المخلوقات الدنيا لخدمتنا ،فكل واحد يعمل على حفظ نفسه،ولا يتنازل عن حقوقه،وعليه أيضا أن يحافظ على الآخرين ولا يضر بحياة غيره...فقانون الطبيعة يقضي بالسلام وبصيانة البشر."[2] والمقصود هنا أن الحالة الطبيعية هي حالة من الحرية والمساواة ،وأنه يجب على كل واحد أن لا يضر الآخرين في حياتهم وصحتهم ،لأنهم هم من فضاء واحد ونظام واحد،ولدوا من غير اختلاف ،ولديهم نفس المؤهلات،ويمكن وصف هذا المجتمع بأنه فطري الذي يعيش في حالة من السلام والطمأنينة والأمان،هذه الحالة الطبيعية سبقت العقد الاجتماعي .ولذلك يقول روسو :"الطور الطبيعي سنة طبيعية يخضع لها الجميع والعقل،وهو تلك السنة ،يعلم البشر جميعا ،لو استشاروه إنهم جميعا متساوون وأحرارا،فينبغي أن لا يوقع أحد منهم ضررا بحياة صاحبه أو صحته ،أو حريته أو ممتلكاته."[3]

فالنسبة للوك أن الحالة الطبيعية هي حالة يتمتع فيها الإنسان بكامل حريته ،وأنها تمنحه الحقوق والحريات الطبيعية ،لكن يستدعي إلى ضرورة تنظيم هذه الحالة أي (حالة الفطرة)،لأن الناس في حالة الطبيعة ليسوا كلهم قادرين على أن يعملوا على احترام حقوقهم الطبيعية،ولا يستطيعون بمجهودهم الخاص حماية ما يعود إليهم ،أي حماية ملكيتهم.

---

[1] محمد وقيع الله أحمد،مدخل إلى الفلسفة السياسية،مرجع سبق ذكره،ص166.
[2] أميرة حلمي مطر،الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس،المرجع السابق،ص67.
[3] جون لوك ،في الحكم المدني، مصدر سبق ذكره ،ص140.

إن الطور الطبيعي عند لوك هو طور من الحرية والمساواة،وحالة من الاستقرار ،ليس كما يقر به هوبز،وأنها حالة خيرة إلا أنه يشوبها بعض النقص والقصور. يقول جون لوك :"«فمن يسفك دم إنسان ،فان إنسان سيسفك دمه»هذا جزء من قانون الطبيعة فبوسعي أن أقتل لصا وهو يسرق ما أملك ،وهذا الحق يبقى بعد زوال مؤسسة الحكومة،فحيثما كانت هناك حكومة إذ أفلت اللص فعلي أن أتخلى الانتقام الخاص وألوذ بالقانون."[1] فهنا يقصد لوك أن كل من يعتدي على حق غيره سيعاقب حتما ،وأن كل إنسان له الحق في الدفاع عن نفسه ،وعن ممتلكاته الخاصة ،وأن يعاقب المجرمين حتى وإن كان بالقتل،فحق كل فرد أن يحوز كل ما يملكه ،لأن الله تعالى خلق الأرض لكي نستفيد منها جميعا.

لهذا يقول جون لوك :"وكما يتوخى المرء المحافظة على كيانه ،وطالما أنه لا يخشى المنافسة،فإنه لابد أن يستهدف بالتالي المحافظة على كيان الآخرين وعلى مبادئهم وحريتهم وصحتهم ،ومصالحهم الخاصة."[2] فالطبيعة تحمي البريء وتعاقب وتردع المعتدين على حقوق الغير ،وبالتالي يجب على الفرد حماية نفسه وغيرها.

ب– الحالة الاجتماعية عند لوك:

فالانتقال من الحالة الطبيعية ،ومن معضلة عدم وجود تنظيما سياسيا، يحقق التوافق بين مصالح الأفراد ،رأى لوك ضرورة دخول الأفراد في حالة التنظيم السياسي ،من خلال إرادتهم الواعية وبذلك ينتقل المجتمع من الحالة الطبيعية الفطرية إلى حالة أفضل وأحسن تضمن حقوقهم وتكون سلامتهم مكفولة ،وتحقق للجميع المزيد من السعادة والرفاهية ،من خلال تنظيم سياسي يتوافق فيه الأفراد مع الحاكم ،وهذا العقد هو تعاقد واتفاق بين الشعب والحاكم ،وإذا أخل طرف بهذا العقد فإنه يصبح لاغيا ،فالعقد عند جون لوك يكون بين الشعب والحكومة غايته تنظيم وحماية حقوق الطبيعية التي يمتلكها الفرد ،كالحق في الحياة ،الحق في الملكية ،الحق في الحرية...

لقد رأى جون لوك:"أن الحاكم يجب أن يكون مختارا من قبل الشعب،وذلك عن طريق موافقة جميع الأفراد،أو عن طريق موافقة الأغلبية التي تعبر عن إرادة الشعب ،أو عن طريق مجلس النواب الذي يختاره الشعب ،ليعبر عن إرادته."[3] فمن خلال هذا يرى لوك أن العقد يكون بين الفرد والحاكم ،فالحاكم طرف في العقد ،على خلاف هوبز الذي يرى أن الحاكم ليس طرفا في العقد الذي يبرمه الأفراد فيما بينهم ،فالأفراد

[1]برتراند راسل،تاريخ الفلسفة الغربية،تر:محمد فتحي الشنيطي،الكتاب3،المصرية الحمامة للكتاب،1988،ص201.
[2]جون لوك،الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي ،تر:محمود وشوقي الكميال،دار القومية لطباعة والنشر،دط،2397،ص15.
[3]فضل الله محمد إسماعيل،الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي ،ص23.

عند لوك لم يتنازلوا على كل حقوقهم بل جزء من حقوقهم ،لإقامة سلطة عامة مع احتفاظهم بباقي حقوقهم ،وبالتالي لا يجوز للسلطة الحاكمة المساس بالحقوق التي احتفظ بها الأفراد في الحالة الطبيعية.

"فأساس الاجتماع الحرية والغرض من العقد الاجتماعي صيانة الحقوق الطبيعية ،لامحوها لمصلحة الحاكم كما يزعم هوبز "[1] فهنا يرى لوك أن للمحكومين أن يثوروا إذا ما سلبت السلطة الحقوق الطبيعية ،خاصة الحرية والملكية ،فالغرض من العقد الاجتماعي هو حماية الحقوق الطبيعية للأفراد.

ثانيا– نظرية العقد الاجتماعي عند جون جاك روسو:

بعد عصر النهضة ،ودخول عصر التنوير في أوروبا ساد الاعتقاد لدى أغلب المفكرين السياسيين ،وفلاسفة ذلك العصر بأن الإنسان يسير في طريق التقدم ،ولاقى هذا الأخير نقدا من الفيلسوف الكبير جان جاك روسو*،الذي انتقد التقدم وامتدح بالمقابل العصر القديم للبشرية أو ما يعرف بالحالة الأولى آي الطبيعية ،والمقصود بها هي تلك الحالة التي كان عليها الإنسان قبل نشوء المجتمعات،وقبل ظهور المجتمع المدني والقوانين السياسية ،فاختلفت الحالة الطبيعية مع فلاسفة العقد الاجتماعي ،فكل منهما له وجهة نظر لحالة الطبيعة،فالنسبة لهوبز الحالة الطبيعية مليئة بالصراعات والحروب الدموية،والكل ضد الكل ،أما جون لوك يرى أنها حالة من الحرية والمساواة،أما فيما يخص روسو فقد رآها حياة خيرة يسودها الهناء والطمأنينة.

أ–الحالة الطبيعية:

"مفهوم روسو عن الحالة الطبيعية الأولى أنها حياة هناء لم تعرف القيود ،ولم تصطنع الرياء ،حيث كان ابن الغابة لم يملك مسكنا يأويه ولا لغة يتخاطب بها،بل كانت صرخاته الغريزية تغنيه عن الألفاظ،كان إرضاء حاجاته سهلا لقلة طلباته."[2]اعتبر روسو أن الحالة الطبيعية هي حالة من البساطة ،حياة مقتصرة على الأكل والشرب كالحيوان ،مثله مثل الحيوان ،فالطبيعة بالنسبة له تلبي كل احتياجاته وطلباته القليلة.

---

[1] يوسف كرم،تاريخ الفلسفة الحديثة ،ص154.

*جون جاك روسوJean Jacques Rousseau:،ولد في 28جوان 1712،بجنيف بسويسرا ،من أسرة فرنسية الأصل تدين بالبروتستانتية ،ماتت أمه أثر مولده ،وكان أبوه عصبي المزاج ،فأثر ذلك في حياته،فعاش حياة متشردة،كما عهد به أبوه إلى احد الصناع ليعلمه حرفة ،لكنه هرب تاركا الصنعة لسوء قسوة المعلم ،وكان من مظاهر كفاحه هروب من حياته الجرداء في جنيف وهو إبن السادسة عشر ،وتنقل بين دول أوروبية كثيرة ،واستقر في باريس ،كان من أعظم الأغنياء في الفكر،ومن أكثرهم حظا في التعاسة والألم والشقاء ،كما كان له دور في إعلان مبدأ السيادة ،وقد أرجعه بالضرورة الإرادة العامة للمواطنين،وقد أشارت بعض أفكاره فى أن الإنسان خير بطبيعته ،إلا ان حياته كانت عامرة بالمؤلفات من بعضها ،"إميل" بحث في التربية،"العقد الاجتماعي" الذي ينادي بالديمقراطية ، فضل الله محمد إسماعيل،نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي ،ص ص 105.106.

[2]فضل الله محمد إسماعيل،نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي ،بستان المعرفة طباعة ونشر وتوزيع الكتب،الإسكندرية،2006،ص124.

"اختلف روسو من البدء مع سلفه توماس هوبز في تشخيصه لحالة الطبيعة ،فالإنسان ليس فاسدا في طبيعته ،بل فطر على المشاعر الطيبة وعلى سجية الاجتماع ،والتعاون على الخير،وإنما لحق به الفساد مع المدينة والتقدم في سبيل العيش،ونشوء الدول وتطورها."[1] بنى روسو نسقه الفلسفي السياسي على نقد المبدأ الذي أقام عليه هوبز،ورفض كل أفكار هوبز القائلة بأن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان ،فروسو اعتبر أن الإنسان طيب ومحب للخير ،وكما يحب الخير لنفسه يحبه لغيره ،فالإنسان حسب روسو صالحا بطبيعته محبا للعدل والنظام،فأفسده المجتمع وجعله فاسدا ، والمجتمع سيئ لأنه لا يساوي بين الناس ومصالحهم ،

وبالتالي يجب أن يقضي على المجتمع وأن يرجع إلى الطبيعة لإقامة مجتمع يرضي به الجميع،وفي هذا الصدد يقول روسو:"إن البدائيين متحررون من أي اعتماد اجتماعي ،وهم مبدئيا يعيشون بمفردهم مستقلين عن أية علاقات دائمة،ويكونون تجمعات مع بعضهم البعض لمجرد إشباع غايات مرغوبة متبادلة."[2] فالإنسان في الحالة البدائية الأولى لم تكن له أية علاقات مع أبناء جنسه،وهو ليس بحاجة لأخيه الإنسان ،لأن الطبيعة بحد ذاتها هي التي توفر له جميع احتياجاته ومتطلباته،فالحياة الطبيعية للإنسان تكاد تخلو من العلاقات والصلات ،فالإنسان لا يعرف الخير أو الشر ولا يعرف الفضيلة أو الرذيلة ،وبالتالي يقول روسو:"ويظهر أول وهلة أنه لم يكن بين الناس في هذه الحال أي نوع من الصلاة الأدبية ،ولا واجبات معينة ،فيستطيعوا أن يكونوا صالحين أو طالحين ،ولم تكن لديهم معايب ولا فضائل".[3]

كان الصراع الإنسان البدائي صراعا غير دموي،لأن الغاية منه ليست إلحاق الأذى بالآخرين يقدر ما يسعى إلى صد الأذى والدفاع عن نفسه،فهو بسيط متعاطف بطبعه."[4]،كما أشار روسو أن إنسان الغاب تعود منذ طفولته وحتى شيخوخته على تقلبات الطقس والتعب والقهر والعري ،إلا أنه استطاع أن يقهر ظروفه بنفسه."[5] فالإنسان الطبيعي والبدائي يعيش في صراع لكن ليس صراعا كما قصده هوبز ،بل هو صراع صالح غايته تحقيق غريزة حب البقاء دون الضرر بالآخرين ،لأن الإنسان طيب بطبعه،فروسو اعتبر أن الإنسان تعود على الظروف والمأساة التي يتلقاها في الطبيعة ،إلا أنه استطاع المرور على كل هذه العقبات بنفسه،فمفهوم الطبيعة عند روسو مخالفا لما جاء به من الفلاسفة فجون جاك روسو يرى أن الحالة الطبيعية

---

[1]محمد وقيع الله أحمد ،مدخل إلى الفلسفة السياسية ،ص179.

[2]ديلو،المجتمع المدني بين التفكير السياسي والنظرية السياسية،تر:ربيع وهبة،(د.ط)،(د.ب)،(د.د)،(د.س(،ص223.

[3]ستيفن -جون جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس،تر:عادل زعيتر،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة،مصر،دط،2012،ص48.

[4]فضل الله محمد إسماعيل ،نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي ،مرجع سبق ذكره،ص124.

[5] المرجع نفسه،ص124.

هي حالة الحالة الأولى قبل ظهور ونشأة المجتمعات السياسية والحضارية فالإنسان كان يعيش حياة تشبه حياة الحيوان من خلال بحثه عن الغذاء،ويسعى إلى حفظ بقائه ووجوده.

يقول روسو :"أكثر المجتمعات ضربا في القدم ،وقل المجتمع الطبيعي الوحيد من بينها جميعا ،إنما هو مجتمع الأسرة ،هذا هو أن ارتباط الأولاد بأبيهم لا يدوم إلا طيلة الوقت الذي يحتاجون في أثنائه إليه لحفظ بقائهم."[1]

تعتبر الأسرة حسب روسو هي أول المجتمعات ،لكن مع الوقت ستزول الأسرة لأنها أساسها هو المصلحة والحاجة ،فالأولاد يحتاجون آبائهم ولكن عند كبرهم يستطيعون الاعتناء بأنفسهم،ستزول هذه العلاقة،يرى روسو أن الإنسان كان يعيش في الغابات لامسكن له ولا صناعة له ،وليس له رغبة في إيذاء من أبناء جنسه ،فهو يكفي نفسه بنفسه ولا حاجة لغيره،فغرضه من ذلك هو تحقيق ذاته ووجوده ،وتلبية احتياجاته الخاصة من أكل وشرب ومأوى."انتهى روسو إلى أن الحالة الطبيعية عند البشر لم تكن حالة حرب الكل ضد الكل ،كما تصور هوبز،وإنما كانت حالة سلام ووئام تام ،استمرت كذلك إلى أن تقدمت العلوم وتأصلت الحضارة ،فزرع معها الشر واستمر الشجار بين البشر."[2]

يقول روسو:"أن الإنسان كان متوحدا في الغابة لا يعرف أهله ولعله لم يكن يعرف أولاده ،لا لغة له ولا صناعة ولا فضيلة ولا رذيلة ،من حيث أنه لم يكن له أفراد أنواعه أية علاقة يمكن أن تصير خلقية،كان حاصلا بسهولة على وسائل إرضاء حاجاته الطبيعية."[3]نرى من خلال قول روسو أن الإنسان في حالة الطبيعة الأولى كان يعيش في حالة من النقاء والبراءة والبساطة ،هذا الإنسان البدائي لم يكن يرفقه تفكير عميق ،لم يعرف الخير والشر أو الرذيلة والفضيلة،كان يعيش كل يوم ليومه دون عناء التفكير بالمستقبل ،واحتياجاته وطموحاته كانت في غاية البساطة والتي تتمثل في الأكل والشرب والمسكن والتزاوج ،وكانت الطبيعة كريمة غير لئيمة معه ،والأهم من ذلك رأى روسو أن هذا الإنسان كان حرا حرية طبيعية،فلا قوانين تحكمه ولا مبادئ تقيده ولا دولة تردعه ،وكل ما كان يخشاه هذا الإنسان هو الجوع والألم.

ب–الحالة الاجتماعية عند روسو:

منذ أن وجد الإنسان وهو يعمل على الخروج من الحياة الطبيعية إلى الحياة السياسية المنظمة،وباعتباره أرقى الكائنات الحية فكر في وسيلة جعلته ينتقل من الحالة الطبيعية إلى المجتمع المدني والسياسي،حيث أنشأ ما

[1]جان جاك روسو،في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي،تر:عبد العزيز لبيب ،ط1،بيروت:المنظمة العربية للترجمة،2011،ص79.

[2]محمد وقيع الله أحمد ،مدخل الفلسفة السياسية،مرجع سبق ذكره ،ص178.

[3]يوسف كرم،تاريخ الفلسفة الحديثة ،ص213.

يعرف بالدولة والتي هي عبارة عن مجموعة من الأفراد يعيشون على رقعة جغرافية واحدة ويخضعون لنظام سياسي.

يقول جون جاك روسو:"أفترض انتهاء الناس إلى النقطة التي تغلبت عندها العوائق الضارة بسلامتهم في الحال الطبيعية،وذلك عن مقاومة فيها ،على القوى التي يمكن كل فرد أن يستعملها للبقاء في هذه الحال،وهنالك لم تقدر هذه الحال الابتدائية على الدوام ،وكان الهلاك نصيب الجنس البشري إذا لم يغير طراز حياته."[1] معنى هذا حسب روسو أنه إذا كان الإنسان خلق ليعيش في محيط طبيعي ،فإنه يعيش أيضا في مجتمع بشري لأنه كائن اجتماعي بطبعه ،فهو يحتاج إلى الآخر لكي يستمر في الوجود ،فروسو وصف الإنسان بأنه طيب ومحب للخير وله العاطفة اتجاه الآخرين.

افتتح روسو كتابة العقد الاجتماعي بعبارة شهيرة يقول فيها:"ولد الإنسان حرا ،ويوجد الإنسان مقيدا في كل مكان ،وهو يظن أنه سيد الآخرين..."[2]

وهذا الميثاق الجماعي له شروط متعددة يمكن اختصارها في شرط واحد يتمثل في تنازل كل فرد في المجتمع عن حقوقه بأسرها لصالح الجماعة كلها ،وليست لصالح حاكم مستبد.[3] فالعقد عند روسو يتنازل فيه كل الأفراد عن جميع حقوقهم لصالح المجموع ،وأن هدف كل نظام سياسي واجتماعي هو حفظ حقوق كل فرد ،وأن الشعب وحده هو صاحب السيادة*

مما سبق نستنج:

– أن لوك يفترض أن الإنسان في حالته الطبيعية الأولى ليس عدوانيا،ويرى أن العقد الاجتماعي ماهو إلا إبرام ،أو اتفاق بين الجماعة لحماية الشعب ،ولا يمكن أن يكون العقد مصداقية بموافقة الجماعة.

–انطلق هوبز من نظريته العقد الاجتماعي ،من فرضية أن الإنسان شرير بطبعه،وفي هذه الحالة الطبيعية،يرى أن الإنسان همجي بطبعه ينفر من الاجتماع ،وأنه ذئب لأخيه الإنسان،يسعى كل فرد بحكم غريزة البقاء إلى مواصلة حياته بطريقة التي يجدها مناسبة له.

– يفترض روسو أن الناس في طبيعتهم الأولى كانوا متحابين بأصل الفطرة فيهم،لذلك كان يرى أن الحالة الطبيعية التي سبقت المجتمع المدني كانت مثالية،فالعقد عنده يقوم على تخلي الفرد عن بعض حقوقه الطبيعية الدولة ،لكن الدولة تعيدها لهم بعد أن تصبح حقوق مدنية ،والهدف من العقد الاجتماعي هو أن يصبح للحرية والمساواة أساس اجتماعي.

---

[1]جون جاك روسو ،العقد الاجتماعي، مصدر سبق ذكره ،ص37.

[2] المصدر نفسه،ص22.

[3]محمد وقيع الله أحمد ،مدخل إلى الفلسفة السياسية،مرجع سبق ذكره، ص181.

ثالثا– مبادئ العقد الاجتماعي عند جون جاك روسو:

أ–الحق الطبيعي:

لقد شغلت فكرة الحق الطبيعي اهتمام الكثير من المفكرين والفلاسفة،من اجل التوصل إلى مجتمع قائم على العدل والمساواة والفضيلة،ويعتبر الحق مفهوم لعدل والقانون والمساواة ،في مقابل الظلم والعنف ،فالإنسان في الحالة الطبيعية كان يتمتع بمجموعة من الحقوق والواجبات كالحق في الحياة والحق في الحرية

والمساواة ،فالإنسان في حالة الطبيعة حسب روسو كان حرا بشكل مطلق ،مما يجعله بعيدا عن الصراع والحرب ،لأن الإنسان في نظر روسو خير وطيب ،لا ينزع نحو الشر،بل كان يعيش منفردا وفي حالة عزلة ،يلبي حاجاته من الطبيعة لكي يحافظ على بقائه.

"ومن هنا يرى جون جاك روسو إن لكل إنسان بمجرد انه إنسان له حقوق بصفة حقوقية مطلقة ،وأن كان الإنسان في آية لحظة من الزمن ،وفي أي مكان من العالم فإنه له حقوق طبيعية معينة ،هذه الحقوق إنما وجدت والإنسان في وقت واحد ،وهي التعبير القاعدي عن طبيعته نفسها ،إن للإنسان الحق في أن يعيش وأن لا يعرقل نشاطه وأن يبرم العقود ،ولذا كان لابد من تنظيم جماعي وفق القوانين ،فالشعور بالحق هو المصدر الذي تقتبس من النتائج التي حصل عليها الفكر البشري."[1]

يرى روسو أن من طبيعة الإنسان وبمجرد أنه إنسان له حقوق مطلقة طبيعية ،وله الحق في العيش والحياة ،فالإنسان كائن اجتماعي لا يعيش منعزلا عن غيره ،وأن الإنسان في المرحلة الطبيعية له حقوق لا يمكن لأي شخص كان أن يمسها ،ومن بينها الحق في الحياة باعتباره حقا طبيعيا ،فالناس في هذه المرحلة لا يسيئون لبعضهم البعض ولا يتعرضون لبعضهم البعض بأي سوء ،لأن من طبيعة الإنسان التعاطف مع الغير ،وما يحبه لنفسه يحبه لغيره،وهذا راجع إلى غريزة المحافظة على الذات التي تجعله يحافظ على حياة الآخرين ،كما يحافظ على نفسه.

"إن فكرة الحق لا سيما فكرة الحق الطبيعي،فكرتان متصلتان بطبيعة الإنسان لذلك وجب أن نستنبط مبادئ هذا العلم من طبيعة الإنسان عينها ،ومن كونه ومن حالته."[2] أي أن فكرة الحق الطبيعي فكرة مرتبطة بالإنسان وبطبيعته ،وأنها فكرة غريزية مرتبطة بوجود الناس ،مهما كانت حالتهم ،غير أن الناس في حالة

[1] غروتويزن برنار ،فلسفة الثورة الفرنسية ،ص132.

[2] جون جاك روسو ،خطاب في أصل التفاوت بين البشر،تر:بولس غانم ،ط1 ، مركز الدراسات الوحدة العربية ،بيروت ،2009،ص55.

الطبيعة لم يؤمنوا على أنفسهم وممتلكاتهم ،لذلك فكروا في ضرورة الانتقال إلى حياة جديدة لحماية حقوقهم عن طريق التعاقد فيما بينهم.

"يرى فلاسفة العقد الاجتماعي في ضرورة العقد من أجل حماية الحقوق الطبيعية و المحافظة عليها ، و إن كان كل إنسان يعتدي على من اعتدى عليه و له الق في إعدام الآخر لتحولت الدنيا إلى مساحة إعدام فغير المعقول أن ينصب الناس نفسهم إلى قضاة في قضاياهم الخاصة ."[1] فمن خلال العقد الاجتماعي يسود النظام السياسي مما يؤدي إلى العدل و المساواة .

ب–الحرية:

يعد موضوع الحرية من أهم مسائل الفلسفة السياسية التي شغلت تفكير العديد من الفلاسفة والمفكرين عبر التاريخ ،فمفهومها يختلف من فيلسوف لآخر ومن مجتمع لآخر،فمن طبيعة الإنسان البحث عن حالة أفضل للعيش في أمن وسلام ،حياة تعمها المساواة والحرية ،غير أن هذه الأخيرة تتداخل معها الكثير من المفاهيم كالحق والعدالة ،فالحرية ذلك الحق الملازم لجميع البشر ،مهما اختلفت ديانتهم أو لغاتهم أو أصلهم ،فالإنسان ولد بالفطرة على الحرية، فلا يزال الاهتمام بها واضح في الكثير من الآراء الفلسفية و الاجتماعية والسياسية،فهي فكرة قديمة إلا أنها شهدت تطور كبير في العصر الحديث أو مايعرف بعصر الأنوار عامة ،وخاصة الفيلسوف والأديب الفرنسي جان جاك روسو ،فهذا الأخير جعل من الحرية محور فلسفته السياسية.

1– مفهوم الحرية:

– لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور :"والحر بالضم نقيض العبد،والجمع أحرار و أحرار،والحر نقيض الأمة ،والجمع حرائر وتحرير رقبة عنقها،وحرره أعتقه،وفي الحديث من فعل كذا وكذا فله عدل محرر أي أجر معتق،المحرر الذي جعل من العبيد حرا."[2] فالحرية لغة هي المفهوم المقابل للعبودية ،فلا يمكن أن تجتمع الحرية والعبودية ،وقد ذم الإسلام وغيره من الديانات السماوية العبودية (استعباد بعض البشر لبعض الآخر)،بل جعل تحرير الإنسان من الإنسان من أفضل الأعمال،وقد حث الفلاسفة عليها والشعراء.

وإذا عدنا إلى معجم جميل صليبا فيرى:"إن الحر ضد العبد،والحر الكريم والخالص من الشوائب ،والحر من الأشياء أفضلها ،ومن القول أو الفعل أحسنه ،تقول حر العبد أحرارا خلص من الرق ،وحر فلان حرية كان حر الأصل شريفة."[3] فالحرية بهذا المعنى التخلص من العبودية ،حيث يملك خيره بنفسه ،فالحر من الناس هو

[1] فضل الله ممد إسماعيل ،نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي الحديث،مرجع سبق ذكره ، ص229.
[2] ابن منظور ،لسان العرب،مرجع سبق ذكره ،ص188.
[3] جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ،مرجع سبق ذكره، ص461.

من يستطيع التخلص من كل أشكال العبودية ،فيصير كريما ،حيث ينتقل من فئة الرق والعبودية ،إلى فئة الأحرار ،والحر بالنسبة للأشياء هو الشيء الخالص الذي لم يختلط بغيره من الأشياء.

– اصطلاحا :

يقول لالاند :"الإنسان الحر هو الذي لا يكون عبدا أو سجينا ،فالحرية هي حالة ذلك الذي يفعل ما يشاء ،وليس ما يريده شخص آخر سواه،أي غياب الإكراه الخارجي ."[1] فالمقصود هنا أن الإنسان الحر هو الإنسان الذي يتمتع بحرية كاملة ،ويفعل ما يريد وليس ما يريده شخص آخر.

"فقد أراد روسو أن يقيم تعاقدا اجتماعيا أكبر يقي الإنسان شرور حالة المدنية التي انتقل إليها باستخدامه للعقل،لقد رمى روسو في البداية إلى رجوع بالإنسان إلى الحالة الطبيعية الأولى ،ولكنه تراجع عن ذلك المرمى إلى خطة عملية تهذب الحالة المدنية والحضارة ،وتعالج مثالبها مع الحفاظ على المزايا الحسنة ،فالعقد الاجتماعي ليس إلا محاولة لإصلاح الحياة الاجتماعية والسياسية في المجتمع ،حتى يستطيع الإنسان أن يسترجع كل أو بعض مميزات التي كان يتمتع بها."[2] وبالتالي فأفضل طريقة تضبط حالة الإنسان بعد انتقاله من الحالة الطبيعية إلى الحالة الاجتماعية هي العقد الاجتماعي،إقامة تعاقد مع الآخرين من أجل الحفاظ على حريته الطبيعية.

يقول روسو:"يوجد طريقة تتيح لكل إنسان أن يشعر بأنه حر في مجتمعه ،وبأن حقوقه محترمة ،وذلك ببناء هذا المجتمع على عقد أو على ميثاق اجتماعي ،أي التزام شرعي يتضمن تنازل الفرد عن شخصه ،وعن جميع حقوقه لمجتمعه."[3] وقد سعى روسو من خلال نظريته العقد الاجتماعي إلى بناء مجتمع قائم على الميثاق الاجتماعي ،وتعاقدية الجماعة ،باعتبار أن الإنسان البدائي كان يعيش حرية كاملة ،إلا أن الظروف القاسية جعلته يحتاج إلى غيره من اجل التعاون ،ومن هنا أراد روسو من خلال نظريته العقد الاجتماعي أن يصلح أوضاع الشعب والبشرية ،فالإنسان يتمتع بحريته في ظل الجماعة.

فبمجرد دخول الفرد في العقد الاجتماعي فإنه يصبح متحدا مع الجماعة ،وهنا يهدف روسو إلى تحقيق العدالة ،إذ يقول في هذا الصدد:"يضع كل واحد من شخصه وكل قدرته موضع اشتراك تحت الإمرة العليا الإرادة العامة."[4] ويقصد روسو أن كل عضو وكل فرد من أفراد المجتمع يتنازل عن حقوقه لصالح الجماعة ،لأنه أصبح جزء لا يتجزأ منه.

---

[1] اندري لالاند ،الموسوعة الفلسفية ،ص728.

[2] وقيع الله أحمد محمد ،مدخل إلى الفلسفة السياسية (رؤية إسلامية)،دار فكر ،ط1 ،دمشق ،سوريا ،2010 ، ص 180.

[3] كريستون أندري ،روسو و حياته و فلسفة ،منتخبات ،ص84.

[4] جون جاك روسو ،في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي ، ص94.

إن الإتحاد القائم بين الأفراد حسب روسو مبدأه الحرية وليس القوة أو الجبر ،وفي هذا الصدد يقول روسو:"فالقوة لا تولد أي حق."[1]

وقد استهل جون جاك روسو كتابه العقد الاجتماعي بعبارة مشهورة معبرة عن طبيعة الإنسان وعن حريته ،حيث قال:"يولد الإنسان حرا،إلا انه مكبلا بالأغلال على ذلك النحو يتصور نفسه سيد الآخرين ،الذي لا يعد وأن يكون أكثرهم عبودية ."[2]وهنا ذهب روسو ليؤكد أن الحرية فطرية في الإنسان ،لكن في حالة المجتمع ،لم يعد للحرية المعنى الذي كان لها في الحالة الطبيعية ،بل تحولت هذه الحرية من طبيعية إلى مدنية ،وأصبح الإنسان مؤطرا بمجموعة من القوانين لتنظيم وممارسة حريته الطبيعية.

فهنا يعتبر روسو الحرية هي المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه الوجود الإنساني ،فانعدام الحرية تنعدم الإنسانية ،وبالتالي فإن الحرية مرتبطة بماهية الإنسان ،لذا ففصل الإنسان عن حريته يعني فصله عن جوهره تخلي عن إنسانيته.

جـ–المساواة:

إن للإنسان حقوق طبيعية بمجرد ولادته،أهمها الحق في الحياة والحق في الحرية ،كما له حق آخر وهو المساواة ،فالإنسان في المرحلة الطبيعية كان لا يعرف التفاوت ،أي أنه كان يتساوى مع غيره في كل شيء ،فبما أن المساواة متوفرة في الحالة المدنية ،فيجب أيضا أن يحظى بالمساواة في الحالة المدنية ،فالمساواة بين الأفراد طريق إلى العدل وعدم النزاع والتنافس بين الأفراد في المجتمع ،بحيث لا يختلف إنسان عن إنسان آخر،بل يجب أن يعاملوا بالمساواة.

"يعمم روسو المساواة في الملكية الخاصة بين المواطنين ،بحيث يكون كل متعاقد مالكا لأجل إبطال أسباب التنافس."[3] فروسو هنا يبين أنه يجب تساوي الأفراد في الملكية الخاصة ،لكي لا يكون هناك تفاوت بينهم ولا تنافس ،وهذا يضمن نشر العدل وعدم الصراع والنزاع بين الأفراد والمواطنين.

حيث يذهب روسو مؤكدا هذا المعنى قائلا :"إن إنسان الطبيعة مستقلا بوجوده عما سواه ،فلا مجال للمقارنة بينه وبين أشباهه من البشر ولا للتباري معهم ،فلا هو بالمعجب بالنفس ،ولا بالنافر مع الغير،وعلى أساس الاعتراف بهذا الضرب من التفاوت."[4] فالأفراد في حالة الطبيعة لم يعرفوا التفاوت الاجتماعي ،كان الأفراد

[1]جون جاك روسو ، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي ،ص84.
[2]جون جاك روسو ،العقد الاجتماعي ، ص 23.
[3]جون جاك روسو ، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي ، تر: عبد العزيز لبيب ، ص 42.
[4]جون جاك روسو ، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي ، ص 42.

متساوين في كل شيء ،وهذا ما يضمن عدم الصراع والنزاع بينهم ،لذلك يستنبط روسو مساواة توزيعية في الحالة المدنية.

المبحث الثاني : الإرادة العامة و السيادة عند روسو

1- الإرادة العامة

لا يخلو فكر وفلسفة روسو السياسية من المفاهيم والمصطلحات السياسية التي تعبر وتخدم نظريته السياسية،ومن بين المصطلحات التي تطرق إليها الإرادة العامة ،التي تعبر من أهم المفاهيم المهمة في فلسفة روسو،باعتبارها إرادة الشعب وإرادة الكل ،فماذا نعني بهذا المصطلح؟.

"ومن الاصطلاحات المألوفة عند فلاسفة القرن الثامن عشر الإرادة العامة (volonté générale) وهي صفة رجل يدرك عند تجرده من الأهواء،ما يستطيع أن يطلبه من أبناء جنسه،وما يحق لأبناء جنسه أن يطلبوه منه ،قال روسو: هنالك في الأغلب فرق بين الإرادة العامة وإرادة الجميع،فالأولى لا تهتم إلا بالمصلحة المشتركة ،أما الثانية فتهتم بالمصلحة الخاصة،لأنها ليست سوى من مجموع من الإرادات الجزئية."[1] فمن خلال هذا نجد أن روسو قد ميز وفرق بين الإرادة العامة وإرادة الجميع،باعتبار أن الإرادة العامة هي أساسية في فلسفة روسو السياسية ،فهي إرادة جماعية تهدف إلى المصلحة المشتركة أو الصالح العام.

أما مراد وهبة في معجمه الفلسفي:

"عند روسو في كتابة العقد الاجتماعي في 1762،الإرادة العامة تتجه نحو الخير العام،ومن ثم تحل الإرادة العامة محل الإرادة الفردية،فيعدل كل فرد من أنانيته ،ويتنازل عن حقوقه للمجتمع بأكمله ،وهذا هو البند الوحيد للعقد الاجتماعي ،ولا إجحاف فيه ،إذ بمقتضاه يصبح الكل متساوون في ظل الإرادة العامة."[2]

"لقد ذكر روسو أن أفراد الشعب عندما تعاقدوا مع أنفسهم فقد احتفظوا لأنفسهم بحق الحكم ،وأنشئوا كيانا معنويا أسموه بالإرادة العامة ،وهذه الإرادة عبارة عن روح عامة تسري في الشعب ،وتنطوي على مجموع من القيم والأخلاقيات والآمال السياسية التي يتشارك جميع أفراد الشعب في اعتناقها وتثبيتها ،ولذا فإن هذه الروح هي وحدها الجديرة بحمل أمانة الحكم ،وخير ما يؤتمن على تحقيق الصالح العام ."[3] فروسو يرى أن الإرادة العامة هي إرادة تعبر عن مصالح ووحدة الشعب ،وأنها تحفظ الجميع وتحقق لهم الأمن و

السعادة ،باعتبار الإرادة العامة هي السلطة العليا المطلقة ومصدر القوانين ،فالحكومة ملزمة بالخضوع لهذه الإرادة وإلا زالت.

وقد أوضح روسو علاقة الإرادة العامة بالعقد الاجتماعي ،بأن هناك قانون واحد يحتاج إلى الاتفاق

---

[1] جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ، ص 58.

[2] مراد وهبة ،المعجم الفلسفي ، ص42.

[3] محمد وقيع الله أحمد ،مدخل للفلسفة السياسية ، ص183.

العام ،وهذا القانون هو التماسك الاجتماعيsocial compact ، والتماسك الاجتماعي عبارة عن الإرادة العامة للشعب ،لأنه لا يمكن لبشر مهما أوتي من قوة ،أن يشري قلب بشر إلا بإرادته وموافقته."[1] وهنا يوضح روسو بأن هناك قانون واحد يحتاج إلى توافق الجميع ،لأن الهيئة السياسية ممثلة لإرادة الشعب،أي الإرادة العامة هي التي تحرك الهيئة السياسية ،وبالتالي لا يمكن للهيئة السياسية ان تقوم بتصرف مخالف للمنفعة العامة،ومخالف لإرادة الشعب ،فما يريده الفرد في حياته أن يعيش في أمن وآمان واستقرار ،وأن تحقق مصلحته بالتساوي مع الآخرين.

فالعقد الاجتماعي عند روسو هو عقد بين الأفراد فقط على عكس المفكرين الآخرين ،فالإساءة مرفوضة سواء للفرد أو السيد ،فالإساءة للأفراد إساءة للهيئة السياسية ،فإن هذا الفرد في المجتمع قد شارك في تكوين المجتمع السياسي ،لأن كل فرد في الدولة هو مواطن وهو سيد ،فعندما نسئ للهيئة السياسية التي تمثل الإرادة العامة ،فنحن نسئ للشعب.فمصالح الهيئة السياسية الحاكمة ،ومصالح الشعب في هذا العقد الاجتماعي متوافقة لا يمكن أن تختلف ،لأن المجتمع السياسي ممثل لإرادة الشعب. "ترتبط الإرادة العامة بالحقوق التي يجب توفيرها للناس ،وتنبعث تلك الحقوق حسب روسو من تحديد المجتمع لحاجاته ."[2] فالإرادة العامة حسب روسو هدفها هو حماية حقوق المجتمع والفرد ،فالحالة الطبيعية عند روسو يعيش الإنسان نوع من الحرية والمساواة ،فالإرادة العامة تسعى للحفاظ على هذه الحقوق والتحلي بالأمن والاستقرار،وتذهب إلى توفير الرفاهية وتجعل العلاقة التي تجمع بين الأفراد مع بعضهم البعض علاقة قوية تسودها المساواة ،من اجل بناء مجتمع سياسي منظم ،فالذي يحكم في الواقع هو الإرادة العامة وتوافق المجتمع.

تحدث روسو عن ثلاثة أنواع من الإرادات: الأولى هي إرادة الفرد (الإرادة الفردية) Individual will،تعبر عن مصالح الفرد ،والثانية هي إرادة المجموع The will of all ،وهي إرادة معبرة عن الاختلافات داخل الجماعة ،فهي إرادة الجماعات المختلفة داخل المجتمع وهي تتميز أيضا بأنانية ،لأنها مجرد تجميع لإرادات الأفراد ،أي للمصالح الأنانية الفردية ،دون صهرها ،أي دون التعبير عن إرادة الجماعة أو صالحها ،والثالثة هي الإرادة العامة التي تمثل إرادة الجماعة ككل.[3] حيث يصف جون جاك روسو الإرادة

[1]فضل الله ممد إسماعيل ،نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي ،ص 135.
[2]ستيفن ديلو ،التفكير السياسي ،النظرية السياسية و المجتمع المدني ، ص230.
[3]فضل الله محمد إسماعيل ، بوادر الفكر السياسي الغربي الحديث ،ص91.

العامة:"بأنها إرادة الشعب المعبرة عن إحساسه الذي لا يخطئ ،أو أنها صوت الحق في الشعب على الأرض،وهي حقيقة فريدة من نوعها تعبر عن مجتمع ما تنشد الخير الجماعي وتحارب الأنانية ،فهي معيار الصواب ،وما ليس بصواب يكون مجرد شيء آخر غير الإرادة العامة."[1] فهذه الأخيرة هي إرادة الجميع أو الكل وتنشر الخير العام وتحقق الحرية والمساواة في المجتمع ،فالذي يحكم في الواقع هو الإرادة العامة وتوافق المجتمع ،فهذا الأخير حسب روسو ليس مجرد فكرة بل هو جزء من الفرد والفرد جزء من المجتمع أحدهما يكمل الآخر.

"إن الإرادة العامة هي ذلك العنصر الجديد الذي يتبلور في بوتقة المجتمع ،بعد أن تنصهر في هذه البوتقة إرادات الأفراد جميعا،فالإرادة العامة هي بذلك تعبير صادق نزيه عن أمل بجيش بنفوس الأفراد كلهم وفي آن واحد ،فترده صداه هذه الإرادة العامة ،وعلى هذه الإرادة يقوم الحكم فيكون وكما معبرا صادقا نزيها يحقق الحرية والإخاء والعدالة والمساواة."[2] فالإرادة العامة لها دور كبير في حماية حقوق الأفراد داخل الدولة ،فهي تتحكم في الدولة وقوتها وسلطتها ،وتتصف دائما بالعدل والمساواة بين الأفراد الذي كان عليه في الحالة الطبيعية .

الإرادة هي الوحيدة صاحبة الحق والسيطرة على قوة الدولة ،وبالتالي يصبح لها الحق في توجيهها نحو الهدف الذي قامت وقام النظام السياسي لتحقيقه

وهو الصالح العام ،والإرادة العامة التي كان يقصدها روسو هي إرادة المجتمع بجميع أعضاء[3].فالإرادة العامة تسعى جاهدة لحفاظ حقوق الأفراد ،وهي التي تحدد العلاقة التي تربط بين الدولة ومواطنيها من أجل تحقيق سلامتهم وحفظ بقائهم .

[1]فضل الله محمد إسماعيل ، بوادر الفكر السياسي الغربي الحديث ،ص130.

[2]-محمد فتحي الشنيطي ،نماذج الفلسفة السياسية ،ص88.

[3]-مرجع سابق ،ص88.

2- القانون:

"إن شر المجتمع كله ناجم عن أن بعض الناس فيه خاضعون للآخرين،فليس فيه أسيادا يتبادلون ،إفساد بعضهم بعضا،وكل فرد يحيا تبعا للآخرين ،حياة مناقضة للطبيعة ،ولكن ما العمل لكي تستمر الجماعة ،ويحافظ عنها الأفراد عن حريتهم ؟ لا يمكن ذلك إلا إذا أحللنا محل إرادة الإنسان إرادة غير شخصية هي القانون."[1]فالقانون حسب روسو وضع لكي يقضي على السلطة المطلقة على الفرد ،وعلى فكرة تسلط الحاكم على الفرد ،فهو ينفي فكرة العبودية،باعتبار أن للإنسان حرية مطلقة لا يمكن الاستغناء عنها أو سلبها.

يقول جون جاك روسو:"إني أنعت بالجمهورية كل دولة تسودها القوانين ،كائنا ما كان شكل إرادتها ،فإذاك فقط تحكمها المصلحة والعمومية ،ويكون لشأن العمومي شأن يذكر كل حكومة مشروعة إنما هي

جمهوريته."[2] فالإرادة العامة هنا ساهمت في وضع القوانين التي وضعها الشعب ،فما على الحكومة إلا الخضوع لهذه القوانين وتنفيذها.

وهنا نجد أن الحرية بدون العدالة هي تناقض حقيقي ،فلا حرية بغير قوانين ،ولا حرية عندما يكون الشخص فوق القانون ،والشعب الحر يطيع لكنه لا يخدم لدنيه قضاة،لكن ليس فيه سادة،وهو لا يطيع شيئا سوى القوانين ،وبفضل قوة القوانين ،فإنه لا يطيع البشر،"[3]فالفرد هنا الحر ،لا يخضع لأي سلطة مطلقة

كانت ،وإنما يطيع القانون باعتباره مشاركا في القانون.

يعرف جون جاك روسو الحكومة :"بأنها هيئة تتولى تنفيذ القوانين الصادرة عن الإرادة ،وصيانة الحريات المدنية ،والممتلكات ،وهي هيئة لا سلطان لها،إذ السلطان الوحيد في المجتمع للشعب وحده ،وهي مفوضة

[1]-غروتويزن برنار،فلسفة الثورة الفرنسية ،تر:عصفور عيسى،المرجع سبق ذكره،ص108.

[2]جون جاك روسو ،في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي ،تر:لبيب عبد العزيز، المرجع السابق،ص122.

[3]عامر السوداني ،أسنام ،فلسفة حقوق الإنسان هوبز،مونتسكيو ،روسو،مكتبة مؤمن قريش ،ط2،بيروت لبنان،2017،ص149.

فقط لتنفيذ القوانين التي تسنها الدولة ."[1] فوجود الدولة والقانون عند روسو أمر ضروري ومهم،من أجل حماية حقوق الأفراد ،الذي من خلاله يسن العدل والمساواة بين الأفراد ،من خلال القانون تتحقق العدالة.

ليس انتهاك الحرية بل صيانة لها ،حتى للفرد المقاوم لأنه بفضل القانون وحده يستطيع الفرد في المدينة أن يتمتع بتحرره من العدوان والسرقة والاضطهاد وتشويه السمعة،وعشرات الشرور الأخرى ،ومن ثم فإن للشعب بإكراهه الفرد على طاعة القانون ،إنما يكرهه على أن يكون حرا في الواقع.[2] فالإنسان حسب روسو عندما يخضع للقانون لا تسلب حريته ،فهذه الأخيرة هي المبدأ الأساسي يجب على القانون المحافظة

عليها ،لأنها حق من حقوق الإنسان لا يمكن انتهاكها أو التخلي عنها.

عندما يضع الشعب كله قواعد تطبق على الشعب كله ،فإن إنما يتعامل مع نفسه وتكون العلاقة الناجمة عن ذلك علاقة بين الكل من جهة ،والكل من جهة أخرى بلا أية تجزئة للكل،وهكذا فإن ما يتعلق به القواعد الموضوعية يكون عاما بل الإرادة العامة التي وضعته ،وهذا هو ما أسميه قانونا."[3] فالحياة الاجتماعية لا تتطور ولا تزدهر إلا بوجود قانون ينظمها ويحفظ حقوق الفرد وبقائه ،فمن خلال القانون يتم توزيع الحقوق والواجبات بتساوي والعدل بين أفراد المجتمع،فالقانون يسمح للأفراد بممارسة حقوقهم بطريقة منظمة.

الإرادة العامة يعبر عنها بالقوانين الوضعية ،أي أن القوانين تعبر عن الإرادة العامة ،لأن الإرادة العامة تريد مصلحة العامة التي يعبر عنها بالقوانين ذات الطبيعة العامة ،لذا فإن خضوع الأقلية للقوانين التي صوتت عليها الأغلبية هو تحقيق للحرية،وليس خرقا لها.[4] فهنا روسو بضرورة وجود قانون يحمي حقوق الطبيعية للشعب دون سلبها وانتهاكها ،باعتبارها حقوق مقدسة .

[1]-عبد الله المعطي محمد ،علي،تيارات الفلسفة الحديثة ،ص452.
[2]-ديوارانت،ول وايريل،قصة الحضارة (روسو والثورة) ،تر:أندراوس فواد ،ص284.
[3]جون جاك روسو ،في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي ،تر:عبد العزيز لبيب،مصدر سبق ذكره،ص121.
[4]منذر الشاوي ،الدولة الديمقراطية في الفلسفة السياسية والقانونية ،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ،بيروت لبنان ،ط1،2000ص94.

3- السيادة:

تعتبر السيادة* من بين المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها الفكر السياسي عند روسو،وظهرت مع تطور مفهوم الدولة الحديثة في أوربا على يد كبار المفكرين ،لقد تعدد مفهومها بتعدد النظريات التي أطلقها السياسيون المفكرون.

يذهب جميل صليبا في معجمه الفلسفي إلى أن "السيد في اللغة المالك والملك والمولى وسيد العبيد والخدم و المتولي للجماعة الكثيرة ،وكل من افترض طاعته وسيد كل شيء أشرفه وأعلاه ،ومنه قولهم الخير الأعلى ،ويطلق في علم السياسة على الفرد والجماعة من جهة ما ،مهما كان متمتعان بالسلطان في الدولة ،والسيادة مصدر ساد ،تقول سيادة عظم وشرفا،وساد قومه صار سيدهم."[1] فالسيادة من الناحية اللغوية تطلق في مقابل العبودية (السيد في مقابل العبد)،وتطلق أيضا على تولي شأن عام كالقوم والقبيلة ،غير أن مفهوم السيادة في العصر الحديث عرف تطورا بظهور الدولة الحديثة،فهي على العموم تطلق على استقلال تام للدولة عن باقي الدول.

ومنه سيادة الدولة وسيادة القانون ،وإذا أضيف لفظ السادة إلى الدولة دل على السلطة السياسية التي تستخدمها جميع السلطات الأخرى،والدليل على ذلك جاء في إعلان حقوق الإنسان عن إشارة ،إلا أن كل سيادة مستمدة من الشعب ،لا يمكن لأحد أن يمارسها إلا باسمه ،وهي واحدة لا تنقسم ،ولا تبطل بمرور الزمن ،ويطلق لفظ السيادة على استقلال الدولة عن غيرها استقلالا تاما ،وإذا كانت السيادة الدولة مستمدة من الشعب كان نظامها ديمقراطيا،وإذا كانت غير مستمدة منه كان نظاما دكتاتوريا."[2]

وفي موسوعة لالاند :"السيادة هي الرفعة والعلو ،ومفهوم السيد يتضمن معنيين يمكنهما إذا لم تنهيه لهما أن يتسببان بمناقشات بلا طائل،يمكن أن تعني كلمة سيد الأرفع الأعلى أو الأكمل الأسمى،في الحالة الأولى هو ما يكون شرطا بذاته غير مشروط،أي لا يخضع لأي شرط آخر ،الأصالة ،وفي الحالة الثانية هذا الكل الذي لا يكون جزءا من كل أكبر من الجنس عينه الكمال."[3] فالسيادة تتنافى مع الخضوع ،بل تتعالى عن كل خضوع أو إكراه يملك زمام أموره ،وكذلك الدولة فلا تخضع لغيرها من الدول.

* تعود فكر السيادة لى الفيلسوف الفرنسي جان بودان.

[1] جميل صليبا ،معجم فلسفي ،ص678-679.

[2] جون جاك روسو ،في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي،ص679.

[3] اندري لالاند ،الموسوعة الفلسفية ،ص1322.

3-1- خصائص السيادة عند روسو:

يقصد روسو بالسيادة هنا هو الشعب الذي يعبر عن إرادته العامة وينفذها من خلال تشريع القوانين ،فالسيادة لا يمكن التعبير عنها ،ومن خصائصها أنها سيادة غير قابلة للتنازل ،وأنها غير قابلة للتجزئة والتقسيم ،وأنها مطلقة،وسنحاول توضيح هذه الخصائص.

أ-السيادة غير قابلة للتنازل:

يقول روسو بالنظر إلى أن السيادة ليست سوى ممارسة الإرادة العامة ،فإنها لا يمكن التنازل عنها ،وإن السيد الذي ليس غير موجود ألبي لا يمكن أن يمثل بغير نفسه ،فالسلطان لا الإرادة هو الذي يمكن نقله."[1] فهذا يعني بأن الإرادة العامة هي صاحبة السلطة في المجتمع ،وأنها ليست إلا ممارسة للإرادة العامة ،وبالتالي فالسلطة يمكن أن تنتقل أما الإرادة فلا،ويجب على المعني بالسيادة عدم التنازل عنها أو نقلها لشخص آخر.

يقول روسو أيضا:"والواقع أنه إذا كان لا يتعذر توافق الإرادة الخاصة والإرادة العامة في نقطة،فإن من المستحيل على الأقل أن يدوم هذا التوافق ويثبت،وذلك أن الإرادة الخاصة تميل إلى التفضيلات بطبيعتها،وأن الإرادة العامة تميل إلى المساواة،فمن العبث أن ترتبط الإرادة في قيود للمستقبل ،ومادامت الإرادة لا تتعلق بشيء مخالف لخير الموجود الذي يريد ،ولذا فإن الشعب إذا وعد بالطاعة فقط فإنه يحل نفسه بهذا العهد لفقده صفة الشعب ،فإذا وحد مالك عاد لا يوجد سيد حالا،وهنالك تتلاشى الهيئة السياسية."[2] فهنا يقصد روسو من ذلك أنه من المستحيل أن تتوافق الإرادة العامة مع الإرادة الخاصة،فالإرادة العامة هي إرادة جماعية تهدف إلى الصالح العام أو المصلحة المشتركة ،فالإرادة العامة تميل بطبيعتها إلى المساواة ،أما فيما يخص الإرادة الخاصة فهي تميل إلى التفضيلات.

يرى روسو انه من المستحيل أن تتوافق الإرادة العامة مع الخاصة ،فالإرادة العامة هي إرادة جماعية تهدف إلى الصالح العام ،أو المصلحة المشتركة،فالإرادة العامة تميل بطبيعتها إلى المساواة ،أما فيما يخص الإرادة الخاصة فهي تميل إلى التفضيلات.ويؤكد روسو ذلك بقوله:" لم يكن محالا أن تتوافق إرادة من الإرادات الخاصة مع الإرادة العامة ،على مسألة من المسائل ،فمحال في أدنى الحالات أن يكون هذا التوافق قابلا للدوام وثابتا،وذلك لأن الإرادة الخاصة تنزع بطبيعتها إلى المفاضلات ،بينما تنزع الإرادة العامة إلى المساواة ،والأشد امتناعا من كل ذلك،هو إيجاد ضامنا يضمن هذا التوافق فإذا ما قيض له أن يوجد يوما ،فلن يكون ذلك نتيجة عن الاقتراع ،وإنما نتيجة المصادقة،فقد يجوز لصاحب السيادة أن يقول :أريد حاليا ما يريده هذا

[1] جون جاك روسو ، في العقد الاجتماعي او مبادئ القانون الساسي ،ص52.
[2] مرجع نفسه، ص52

الواحد من الناس ،وعلى الأقل ما يصرح بأنه يريده .[21]ويعني هذا أنه من المستحيل أن تتوافق الإرادة العامة مع الإرادة الخاصة،فالإرادة العامة تنحني إلى المساواة ،بينما الإرادة الخاصة تميل إلى المفاضلات ،فروسو بتحدثه عن السيادة فهو لا يفصلها عن الإرادة العامة ،فهذه الأخيرة عند روسو هي التي تمارس السيادة وتوجه الدولة وفق هدف نظامها الذي هو الخير العام.

ب–السيادة غير قابلة للتقسيم:

يرى روسو أن السيادة غير قابلة للتقسيم والتجزئة ،وأنها واحدة ولا تقبل الانقسام ،وأنها سيادة واحدة ، أي سلطة عليا واحدة ،ويقدم ذلك روسو في كتابه العقد الاجتماعي بقوله :"يمتنع انقسام السيادة لذات السبب في امتناع التنازل عنها ،وذلك لأن الإرادة تكون عامة ،أو لا تكون ،وهي إما أن تكون إرادة هيئة الشعب ،أو قسم منه فقط ،وتكون هذه الإرادة معلنة في الحال الأولى ،عقد السيادة ويصبح لها حكم القانون ،وهي في الحال الثانية ليست غير إرادة خاصة،أو عقد قضائي ،فتعد مرسوما على الأكثر."[3]وهذا يعني أن السيادة يجب أن تكون واحدة ،ولا وجود لسيادة أخري ،وأن نفس السبب الذي جعلها غير قابلة فيه للتصرف ،فإن السيادة لا تقبل التقسيم والتجزئة ،وبالتالي فتقسيم السيادة يؤدي إلى التعارض والتناقض ،فالسيادة واحدة وليست متعددة ،فهي هيئة الشعب كله،حيث يؤكد روسو ذلك بقوله :"ولهذا السبب لا تملك الإرادة العامة أن تتنازل عن سلطاتها للإرادات الخاصة ،وقد انتقد روسو في هذا المقام السياسيين الذين يجزئون أعمال السيادة فيجعلون من صاحب السيادة كائنا وهميا ،ومكونا من قطع مجلوبة ،ذلك كأنهم يؤلفون الإنسان من أجساد عديدة يكون لأحدهما عينان ،وللآخر ذراعان،ولغيرهما رجلان ،ولا شيء أكثر من ذلك."[4]

ج–السيادة المطلقة:

ينادي روسو بمطلقيه السيادة والسلطة السياسية ،ويجب أن تكون ملائمة للجميع ولا يمكن تجاوز حدودها ،وفي هذا الصدد يقول روسو:"إذا كانت الدولة أو المدينة لا تعد غير شخص معنوي ،تقوم حياته على اتخاذ أعضائه ،وإذا كانت سلامتها الخاصة أهم ما تعني به،وجب أن تكون لها قوة عامة قاهرة

لتحريك ،وإعداد كل قسم على أكثر الوجوه ملائمة للجميع ،وكما أن الطبيعة تمنح كل إنسان سلطة مطلقة على جميع أعضائه ،يمنح الميثاق الاجتماعي الهيئة السياسية سلطانا مطلقا على جميع أعضائها أيضا،وهي السلطة نفسها،وهي التي توجهها الإرادة العامة تحمل اسم السيادة كما قلت."[5]ويقول روسو أيضا:"السلطة

---

[2]جاك روسو ،العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي ، ص 53.
[3]مصدر نفسه،ص53.
[4] مصدر نفسه ،ص53
[5]مصدر نفسه ، ص112.

السيدة ،المطلقة،المقدسة،المبرمة كما هي لا تتجاوز ولا يمكن تجاوز حدود العهود العامة ،وأن كل إنسان يستطيع أن يتصرف تاما فيما ترك له من أمواله وحريته لهذه العهود،فلا يحق للسيد مطلقا أن يحمل احد الرعايا أكثر مما يحمل الآخر ،وذلك لأن الأمر يصير خاصا هنالك فيعود سلطانه غير ذي الاختصاص."[1]فهنا يقصد روسو بذلك أنه يجب على السيادة المطلقة أن لا تتجاوز حدودها،مهما بلغت مطلقيتها ، وبشرط أن تمنح الأفراد العيش في الحرية دون تقيد من طرف الآخر،فالحرية تعطي قيمة للإنسان في حياته.

فلو كان هذا السيد فردا حقيقيا فردا عاديا ،بدل أن يكون جسما معنويا وجماعيا ،ولو كان باستطاعة أعماله أن تكون شيئا آخر غير كونها إعمالا كالإرادة العامة والقوانين ،فإنه سيكون من المعقول بشكل بديهي أن يسئ استعمال سلطته المطلقة ،وحينئذ يجب تعيين له حدود دستورية صارمة ،لكن ماي صلح بالنسبة لسيادة غير شرعية ،يفقد كل معنى اتجاه السيد الوحيد الشرعي الذي يعترف به روسو.[2] فصاحب السيادة عند روسو هو ذو سيادة مطلقة ،فهو يعمل على حماية كل حقوق الأفراد وحرياتهم الطبيعية،من أجل تعويضهم بحقوق مدنية بدل من الحقوق الطبيعية.

[1]جون جاك روسو ،العقد الاجتماعي ،ص69.

[2]مويسات حنان ،الفكر السياسي في فلسفة جون جاك روسو ،مذكرة ماستر ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،جامعة بوضياف ،المسيلة ، 2016-2017 ،ص49.

المبحث الثالث : أشكال الحكومة عند روسو

إن الدولة نظام سياسي يعمل على حفظ حقوق الرعايا و تحقيق مبدأ المساواة و العدالة و يدير شؤونها هيئة تدعى بالحكومة،و نظرية العقد الاجتماعي تسمح لنا بتكوين هيئة مكونة من أعضاء مهمتهم إدارة الشؤون العامة للبلاد و المحافظة على الأمن و السلم داخل المجتمع ،و قبل الخوض في مهام الحكومة و أنواعها ،يجدر بنا تحديد مفهومها.

يعرف جميل صليبا الحكومة "بأنها التدبير و توجيه شؤون الدولة.و بأنها هيئة مؤلفة من أفراد يقومون بتدبير شؤون الدولة "[1]

كرئيس الحكومة ،وزراء ،موظفين ،و تسمى هذه الهيئة بالسلطة التنفيذية.

كما يعرف روسو الحكومة على أنها :"هيئة وسطية بين المواطنين و الهيئة التشريعية ،و قوة معهود إليها في تنفيذ القانون و حماية الحرية المدنية و السياسية."[2]

-فهي تتوسط بين رعايا و صاحب السيادة للحفاظ على الاتصال المتبادل و القيام بتنفيذ القوانين و حماية الحريات،و يسمى أعضاء هذه الهيئة حكاما.

الحكومة هي هيئة من الموظفين ،مكلفة من قبل صاحب السيادة و مهمتها مباشرة السلطات المختلفة.

هنا يصبح للشعب له السيادة العامة و السلطة في تدبير أمور الدولة و هذا للحفاظ على العدل داخل المجتمع.

إن روسو يقر بأن الحكومة تعمل على حفظ حقوق و أمن رعاياها و أن لها سلطة عليا على المجتمع،حيث أنها تحكم بقانون الطبيعة ، و كل ما ينكر ذلك من أفراد المجتمع فإنه يميل ناحية إنكار الواقع،تعمل الهيئة الحكومية على حفظ حقوق الفرد و أمنه.

اهتم روسو بالأنظمة السياسية التي عرفتها البشرية و حاول تقديم نموذج أفضل للفكر السياسي بعد تقييمه للأنظمة السابقة،ولخص أن هناك،أربعة أشكال من الحكومات:الديمقراطية،الملكية ،الحكومات المختلطة و الارستقراطية ،سنحاول التعرف على كل منها:

1- الديمقراطية : يعد هذا النظام السياسي من بين الأنظمة التي أثارت الكثير من الجدل حيث تعددت تعريفات الفلاسفة لها لاختلاف موقفهم منها،و قد عرفها جميل صليبا في معجمه الفلسفي:"الديمقراطية لفظ يوناني 'domos' معناه الشعب،و'cratos' معناه السيادة و بالإجماع فتعني سيادة الشعب.

[1]جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص493.

[2]أندري كريستون ،روسو حياته فلسفته منتخباته،تر:نبيه صقر،ط4،دار التعاريف،1995،ص122.

هو نظام سياسي تكون فيه السيادة لجميع المواطنين و له ثلاث أركان ،الأولى تتمثل في سيادة الشعب ،و الثانية في المساواة ، و الثالثة في الحرية الفردية و الكرامة الإنسانية .هذه الأركان الثلاثة مكملة لبعضها البعض بلا مساواة ،بلا حرية ،و لا سيادة للشعب إلا إذا كان أفراده أحرار و الديمقراطية أما أن تكون سياسية تقوم على الشعب لنفسه و بنفسه مباشرة أو بواسطة ممثليه المنتخبين بحرية تامة،أما أن تكون اجتماعية أي أسلوب حياة يقوم على المساواة و حرية الرأي و التفكير ."[1] أي أن أنها نظام سياسي تكون فيه السيادة على ثلاث أسس :الحرية و المساواة و العدل.

يرى روسو أنه "ليس من صالح من يسن القوانين هو من يتولى تنفيذها ،و لا أن يعيد حس الشعب بانتباهه عن المقاصد العامة ليصوبها نحو الموضوعات الجزئية .ليس هناك من شيء أدعى للخطر من تأثير المصالح الخاصة في الشؤون العمومية ،فإن شطط الحكومة في استخدام القوانين شره أهون من فساد المشروع و هو فساد يعقب المقاصد الجزئية." أي أن الحكومة الديمقراطية لا يمكنها الانصراف لخدمة مصالحها الخاصة أو مصالح فئة قليلة من الشعب ،على حساب المصلحة العامة و هذا ما يؤدي في نظر روسو إلى سوء استعمال الحكومة للقوانين ،مما ينتج عليه بالضرورة فساد التشريعات القانونية لخدمة المصالح الخاصة.

يرى روسو أن الديمقراطية أكمل أشكال الحكومة ،و يجب أن يعهد السيد بأمانة الحكومة إلى شعبه كله أو الجزء الأكبر من الشعب،حيث قال:"لو أن هناك شعبا من الآلهة ،لحكم نفسه ديمقراطيا أن الحكومة تبلغ هذا المدى من الكمال لا تلائم البشرية "[2]

لكي تكون الحكومة ديمقراطية ناجحة يجب أن تتوفر فيها الشروط التالية:

-دولة صغيرة يسهل اجتماع الشعب فيها ،حيث يستطيع كل مواطن أن يعرف مواطنيه.

-بساطة عامة من حيث العادات و التقاليد تحول دون تراكم الأشغال و حدة المناقشات الشائكة.

-مساواة مطلقة في المقامات و المراتب و الثروات،بالرغم من أنه لا يدوم طويلا.

-عدم البذخ و الترف ،الناتج عن تضخم الثروات الذي يكون دائما الى البحث عنها،"فهو يفسد الغني و الفقير معا؛الأول من جشعه ،و الثاني بالحسد و الرغبة.كما تعمل على جعل المواطنين كسالى و متسلطين على بعضهم البعض."[3]

[1]فضل الله محمد إسماعيل ،السعيد محمد عثمان، نظرية القانون الطبيعي في الفكر الغربي ، ص145.

-[2]نجيب المستكاوي،جان جاك روسو حياته مؤلفاته غرامياته،دار الشروق للنشر،ط3، 1989،ص310.

[3]جون جاك روسو،في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي،مرجع سابق ،ص159.

فالحكومة الديمقراطية هي حكومة تعمل على تحقيق تطلعات شعبها عن طريق ضمان الحريات ،وتطبيق العدالة و المساواة.

2- الارستقراطية:

لقد تناول الفلاسفة قديما و حديثا موضوع الأنظمة السياسية ،و أيها يحقق الغاية من وجود الدولة ،نجد من بين هذه الأنظمة:الحكومة الاوستقراطية .و هي "طبقة اجتماعية ذات منزلة عالية،و التي تعرف بأنها تظم أحسن العائلات و تتميز بكونها موضع اعتبار المجتمع لسلوكها المهذب،و سيادتها في المسائل الاجتماعية و السياسية ".[1]

فالاستقراطية حكومة أو طبقة تمثل الأقلية الممتازة و هي تخالف الديمقراطية.كما أنها تسير أمورها من خلال ما يقره رؤساء الأسر.

يعد النظام الأرستقراطي من بين أقدم الأنظمة ،حيث أن المجتمعات الأولى حكمت نفسها بصفة أرستقراطية ،و كان رؤساء الأسر يتشاورون فيما بينهم حول الأمور العامة ،و كان الشبان يذعنون لسلطان التجربة بلا سؤال،ومن هنا جاءت الأسماء،الكهنة و الشيوخ و مجلس الأوائل".[2]

أي تتولى الحكومة الأرستقراطية تسيير أمورها من خلال رؤساء الأسر و النقاش بينهم في جميع الأمور العامة.كما أن الحكومة الأرستقراطية لا يمكن أن تكون خارجة عن إرادة المواطنين في نظامها الداخلي،لأنه يمثل صاحب السيادة فيها.

-إن النظام الأرستقراطي يتخذ ثلاث أشكال و هي: الأرستقراطية الطبيعية ،الانتخابية ،الأرستقراطية الوراثية ، فماذا نقصد بكل منها؟

أ- الارستقراطية الطبيعية :تصلح إلا للشعوب البسيطة التي على الفطرة ،أي مطبقة على البدائيين.

ب - الارستقراطية الانتخابية :و هي من أفضل أنواع الحكومات و أحسنها ،و "هي الأرستقراطية بالمعنى الصحيح".[3]

جـ- الأرستقراطية الوراثية : من أسوء أنواع الحكومات.

---

[1]-مصطفى حيسبة ، المعجم الفلسفي،ط1 ،دار أسامة للنشر و التوزيع،عمان،2009،ص51

[2]جون جاك روسو ، العقد الاجتماعي ،ص102.

[3]جون جاك روسو ،العقد الاجتماعي ،ص102.

إن النظام فيها يكون لعده قليل من الناس ،يمكن أن يقول على أساس الانتخابات أو الوراثية ،بينما الانتخابية هي من أنظمة الحكم الحسنة حيث أنها تتطلب أحسن النظم و أكثرها طبيعة ،فلحكم لعامة الشعب ، شرط "الحكم لصالح العامة لا لصالح الشخص".[1]

مهما كان اختلاف الحكومة الأوستقراطية في أشكالها و أنظمتها فإن مصدرها يكون دائما للشعب ،فهو صاحب السيادة.

يميز روسو في النظام الأرستقراطي بين الخصائص التالية:

-التعريف بين السلاطين التنفيذية و التشريعية،القائمة على الانتخاب؛

-تدار مجالس الحكومة بشكل أفضل و أعقل؛

-حصر الوظائف العامة بشكل أقل؛

-يكون ممثل الدولة من فئة النخبة خارج ما يعمل على تقوية الدولة.

3- النظام الملكي:

تحدث روسو عن شكل آخر من الأنظمة السياسية و هو النظام الملكي ،و قد استهل كلامه عنه بالحديث عن صاحب السيادة و أهميته،فهذا النظام جميع السلطات تكون في يد الملك،ففي هذه الحكومة يسودها مبدأ القوه و السيطرة الذي يفرضه السلطان على رعيته بصفته حاكما لهاو هذا ما وضحه روسو في كتابه العقد الاجتماعي قائلا:"لقد نظرنا إلى الأمير الآن كشخص معنوي أو جماعي موحد بقوة القوانين.و مؤتمن في الدولة على السلطة التنفيذية ،و علينا أن ننظر في هذه السلطة مجتمعة في يد شخص طبيعي،إنسان حقيقي،له وجهة الحق في استعمالها طبقا للقوانين.وهذا ما ندعوه عاهلا أو ملكا "[2].

فالسلطة في النظام الملكي تكون كلها للملك وحده،حيث أن الوصول للحكم يكون وراثيا،يعملون على تأهيل و أعداد الملك المستقبلي وفق نظام تربوي صارم حتى يؤدي دوره على أكمل وجه ليكون قادرا مستقبلا على استقبال الحكم.

و قد انتقد روسو هذا النظام بشدة لأنه يرى أن تولي الملك الفردي ينتج عنه حاكم طاغية يستفرد بالسلطة المطلقة و استبعاد رعيته ،وفيه تعلوا السلطة التنفيذية على السلطة التشريعية التي تسيطر على سيادة الشعب

[1]ابراهيم دسوقي أباضة و عبد العزيز غنام،تاريخ الفكر السياسي ،دار النجاح للطباعة و النشر و التأليف،بيروت ،1973،ص250.
[2]جون جاك روسو،العقد الاجتماعي،ص142.

فلا يهتم الحكام برعيتهم و يهملونهم و لا يكترثون بحقوقهم و ذلك لعدم فهمهم للقوانين،مما يؤدي الى الاستبداد و الطغيان و إبداء الرأي الواحد.غير أنه يرى أن بعض الحكام يبدون اهتمام برعيتهم و نيل محبتهم و نصرانهم و خدمتهم.

خلاصة الفصل الثاني:

مما سبق نستنتج:

-أن لوك يفترض أن الإنسان في حالته الطبيعية الأولى ليس عدوانيا،ويرى أن العقد الاجتماعي ماهو إلا إبرام ،أو اتفاق بين الجماعة لحماية الشعب ،ولا يمكن أن يكون العقد مصداقية بموافقة الجماعة.

-انطلق هوبز من نظريته العقد الاجتماعي ،من فرضية أن الإنسان شرير بطبعه،وفي هذه الحالة الطبيعية،يرى أن الإنسان همجي بطبعه ينفر من الاجتماع ،وأنه ذئب لأخيه الإنسان،يسعى كل فرد بحكم غريزة البقاء إلى مواصلة حياته بطريقة التي يجدها مناسبة له.

-يفترض روسو أن الناس في طبيعتهم الأولى كانوا متحابين بأصل الفطرة فيهم،لذلك كان يرى أن الحالة الطبيعية التي سبقت المجتمع المدني كانت مثالية،فالعقد عنده يقوم على تخلي الفرد عن بعض حقوقه الطبيعية الدولة ،لكن الدولة تعيدها لهم بعد أن تصبح حقوق مدنية ،والهدف من العقد الاجتماعي هو أن يصبح للحرية والمساواة أساس اجتماعي.

-يرى روسو أن الحكومة يجب أن تكون ديمقراطية ،تستمد سلطتها وقوتها من الإرادة العامة أي الشعب ،وتخضع للرقابة باستمرار ويكون له الحق في الثورة عليها إن أخلت بواجبات الفرد.

الفصل الثالث

المبحث الأول : أثر روسو في الفكر السياسي الغربي

تعتبر الثورة الفرنسية أعظم ثورة في التاريخ، كون تأثرها لم يشمل فرنسا فقط، بل امتد إلى أوروبا والعالم كله ، قبل أن نتطرق إلى أسباب قيام واندلاع الثورة الفرنسية يجب علينا معرفة وضعية الشعب الفرنسي من الناحية السياسية والفكرية التي جعلته ينتفض و يقرر بهذه الثورة.

1- الأوضاع السياسية والفكرية في فرنسا :

"كانت المملكة الفرنسية التي تألفت من ولايات مستقلة في الماضي ،مختلفة بقوانينها وطباعها وعاداتها ،وكانت الأنظمة الداخلية تفصل بعضها عن بعض ،وما قام به الملوك من جهود من بينهم (لويس الرابع عشر)،لم يؤد وحدتها تماما ،وعدا هذه الأقسام المادية ،كانت الأمة الفرنسية مؤلفة من ثلاث طبقات وهي طبقة النبلاء ،وطبقة رجال الدين ،وآخر طبقة هي طبقة الفلاحين." [1]قسم النظام الفرنسي الناس إلى طبقات التي تتمثل في طبقة النبلاء وهم الذين يحكمون البلاد كلويس الرابع عشر*،وطبقة رجال الدين المتدينون ،أما الطبقة الأخيرة والثالثة وهي عامة الشعب المثقل بالضرائب والغارق في بحر الفقر.

"كما أن الملوك يستمدون قوتهم من رجال الدين وأصحاب الكنيسة ،وآخر طبقة مغلوبة على أمرهم ،هم طبقة الفلاحين ،يصعب تصور الحياة في المملكة الفرنسية وخاصة حياة الفلاحين الحقيقية ،حيث كانوا يعيشون في كآبة وبؤس وجوع ،ولعل أبرز صورة نشرت في تاريخ الثورة الفرنسية بعنوان "بؤس الفلاحين أيام لويس الرابع عشر "،كانت تروي تلك الصورة عن رجل يقاتل الكلاب ليخطف منها عظام لحم متعفنة، وبجانبه بائس يشد أحشائه من الجوع ،وامرأة ترعى عشبا ،وأناسا ألقوا إلى الأرض وأصبحوا كالأموات."[2] وهذا دليل على أن عامة الناس أي طبقة الفلاحين كانوا يعيشون في فقر مدقع وبؤس واضطهاد ،وذلك من طرف طبقة النبلاء ورجال الدين.

"كانت الطبقة الثالثة من عامة الشعب، الا أنهم لم يكونوا طبقة واحدة متجانسة المصالح فإنهم أصحاب الملكيات الزراعية ،إلا أن كواهلهم مثقلة بالضرائب والحقوق الإقطاعية التي تجعلهم بدرجة كبيرة تحت رحمة

[1]لوبون،روح الثورات والثورة الفرنسية،تر:عادل زعيتر،كلمات عربية للترجمة والنشر،دط،2012،القاهرة ،مصر،ص92.

[2]المرجع نفسه،ص93.

تقلبات السوق وسوء المحاصيل."[1] فطبقة الثالثة أي طبقة الفلاحين وهي التي تمثل عامة الشعب المثقل بالضرائب ،وكانت صورته صورة يعمها المرض والجهل والمجاعة.

2- أثر روسو على قيام الثورة الفرنسية:

تعد شخصية روسو من أبرز فلاسفة عصر التنوير ،وأكثرهم تأثير على الفكر السياسي الفرنسي ،وذلك من خلال صياغته لنموذج فلسفي يختلف عن كل من سبقوه،ففلسفته تؤمن بالحرية إيمانا تاما ،حيث دعا إلى الحرية والمساواة كحق من حقوق الإنسان لا يمكن التنازل عنها ،وأعتبرها المخرج من كل أشكال الظلم والاستبداد وتسلط الكنيسة الذي عاشته بلاده ،رافضا ومعارضا للنظام السياسي المستبد ،محاولا من ذلك تحسين الوضع البشري الذي كان سائدا،وقيام ثورة ضد الأفكار القديمة حول الإنسان التي جردته وسلبت كل حقوقه ،فروسو كان له دور كبير في قيام الثورة الفرنسية حتى سمي "بإنجيل الثورة الفرنسية"،وساعدت فلسفته وفكره في قيام الثورة الفرنسية .ومن خلال هذا الطرح نطرح التساؤل :كيف أثر روسو في قيام الثورة الفرنسية ؟.

"لقد لعبت فلسفة روسو دورا مرموقا في مدى انتشار قواعد العقد الاجتماعي انتشارا منقطع النظير ،فهو الذي مهد للثورة الفرنسية ،حيث كان خطباء هذه الثورة وقادتها يستشهدون بفقرات من فلسفته بوصفها إنجيلا ،وأثره كان في إعلان وثائق حقوق الإنسان والمواطن ،التي صدرت إبان هذه الثورة ،لدرجة أن البعض استند إلى سياسة روسو واعتبرها هدفا ينبغي على كل نظام سياسي أن يعمل على تحقيقه."[2]كان لروسو أثر كبير في الثورة الفرنسية ،مما أثار الشعب الفرنسي بأفكاره ،التي أدت بالإنسان من الخروج من وضع الاستبداد والظلم إلى الحرية ،باعتبارها حقا طبيعيا.

وعلى الرغم من عيش روسو وسط الثقافة الفرنسية ،إلا أنه من جهة أخرى كان ينفر من الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي كان يعيشها المواطنون الفرنسيون، ولذلك حاول إعطاء فكرة جديدة عن الإنسان، من خلال إعطاء شعور للإنسان، بأنه إنسان ذو قيمة.[3] يعتبر روسو من المجتمع الفرنسي، إلا أنه كان غير راض عن الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كان يعيشها المجتمع الفرنسي ،فروسو جاء رافضا

[1]غوساف-بيشوب موريس ،تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ،تر:علي السيد،المجلس الأعلى للنشر ،ط1،2005،ص163.

[2]فضل الله محمد إسماعيل ،نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي ،المرجع السابق،ص149.

[3]برنار،فلسفة الثورة الفرنسية،تر:عيسى عصفور،منشورات عويدات ،ط1،بيروت ،لبنان،1982،ص118.

لحياة البذخ والتفاخر التي كانت سائدة آنذاك في المجتمع الفرنسي ،فهدف روسو من هذا كله هو رفع مكانة وقيمة الإنسان واسترجاع حقوق الإنسان الطبيعية .حيث "إن نظرية العقد الاجتماعي كما تصورها روسو قد جلبت للفلسفة الثورة الفرنسية ،فكرة الأساس الحقوقي للدولة،وهي إذ تحتج بحقوق الشعب، قد أعلنت سيادة الشعب يعلنون ان حقوق الفرد غير قابلة للتخلي عنها، ولا تبطل بتقدم الزمن ،ويجعلون الغرض الرئيسي لسلطة الدولة المطلقة صيانة هذه الحقوق والدفاع عنها."[1] فمبادئ نظرية العقد الاجتماعي من حرية ومساواة وعدالة تعتبر الركيزة الأساسية لنجاح النظام السياسي ،وهذا الأخير لا يمكن أن يقوم على العبودية، وإنما تحت سلطة الإرادة العامة للشعب.

إن الفيلسوف جون جاك روسو ليس فرنسيا فمنبته الأصلي من سويسرا، إلا أنه ذهب إلى فرنسا حيث كانت هذه الأخيرة مقر عظمته وهبط أفكاره، وبعد أن ظل أربعين سنة يقاعد الفقر والفقر يقعده، ويطرق أبواب التعليم والموسيقى ، وخدمة الحكومات المختلفة من غير نجاح أو توفيق ،إذ به نطق في أول خطاب ألقاه كانت كلمة هي القيامة في وجه الترف ،ونطق بها قوية صريحة اهتزت لها عروش الأغنياء والمترفين."[2]، لم يعجب روسو بالأوضاع السياسية و الاجتماعية التي كان يعيشها المجتمع الفرنسي ،إلا أنه عاش بين شعبه، وحاول استرجاع قيمة وحرية وحقوق الإنسان.

إن لكل إنسان حقوق مطلقة في أي لحظة من الزمن ،وفي أي مكان في العالم ،فله حقوق طبيعية معينة كحق العيش وألا يعرقل نشاطه ،والدولة هي شراكة بين الأشخاص الذين يعيشون فيها ،ولذا لابد من تنظيم جماعي ينظمهم تحت قانون ،ولذلك فإن هذه الحقوق تزودنا بحاجة الجماعة.[3] فروسو يرى أن الأفراد لهم حقوق ثابتة لا تتغير بالزمان ولا بالمكان ،كالحق في الحياة،فالغاية من الدولة أو التنظيم السياسي هو حماية هذه الحقوق ،فالقانون هو تعبير عن إرادة الجماعة،وكل المواطنين لهم حق المشاركة في وضع القوانين.

"يكمن المغزى الفريد للأثر الذي أحدثه روسو في الثورة الفرنسية فهو لم يوضح مفاهيم الحق الطبيعي على الصعيد النظري فحسب ، بل وبعث فيها حياة جديدة وأعطاها محتوى عاطفي ، فهناك الدولة القائمة على عقد وسيادة الشعب من جهة ، والإنسان كما صنعته الطبيعة من جهة أخرى في قيمته كإنسان ،كما أن هناك الشعب الذي يضم جميع المواطنين والذي تتمركز في أفكار كل فرد وعواطفه."[4] وهذا يعني –حسب روسو– لكي يحافظ الإنسان عن قيمته يجب التخلي على أنانيته،فاعتبر روسو الشعب مصدر السيادة

[1] غروتويزن برنار،المرجع السابق،ص212

[2] محمد حسن،جون جاك روسو حياته ،كتبه،دار المعارف ،د-ط،القاهرة،مصر،ص10.

[3] غروتويزن برنار،فلسفة الثورة الفرنسية،المرجع السابق،ص 132.

[4] المرجع السابق،ص214

،واستبدل النظام الحكم الملكي الاستبدادي بالنظام الديمقراطي ،الذي يكون من خلاله المواطن حرا في المجتمع، بعيدا كل البعد عن الظلم الاحتقار.

"لقد تبنت الثورة الفرنسية في عام 1789م جزءا من نظرية روسو ،ولكنها لم تقبل القول بأن الفرد عندما يدخل في الحالة الاجتماعية يقوم بالتنازل عن حقوقه الطبيعية ،فلا يمكن للإنسان في رأي بعض من رجال الثورة أن يتنازل عن حريته ،لأن هذا الحق لا يقبل التنازل عنه ،وهذا يخالف ما قال به روسو وهو ان الفرد يكتسب من إقامته في الدولة نوعا من الحرية وهي الحرية المدنية والعقائدية التي تقوم في إطاعة القوانين بعد التنازل عن حريته ،ولذلك فإن شعار الحرية هو هدف الثورة الفرنسية ،وهو أن الإنسان يعيش حرا دون قيود وهذه هي الحرية لديهم."[1] فالحرية التي جاء بها جون جاك روسو كانت من أهم الأفكار التي تبنتها الثورة الفرنسية ،من أجل بناء مجتمع تسوده الحرية والمساواة والعدالة ،فهدف روسو هو نفس هدف الثورة بأن يعيش الإنسان حرا في وسط الجماعة دون قيود تحكمه.

كان روسو يلقب "بالمواطن"،في نوادي باريس الذي كان يتردد لها ،فقد كان إنسانا جمهوريا يتحدث عن جمهوريته دائما حيث يرى روسو أن جميع الفوارق الاجتماعية التي تفرق بين الناس في باريس ليس معترف بها فلطالما نادى بالمساواة بين جميع المواطنين."[2] ،يرفض روسو رفضا تاما الفوارق الاجتماعية والسياسية التي كان يعاني منها المجتمع الفرنسي ،فروسو كان قريب من الشعب الفرنسي ،حيث نادى بالمساواة ورفض التفرقة بينهم.

"كان لي روسو موقف معادي للديانة المسيحية ،إذ أنه كان يهاجمها هجوما شديدا ،حيث دعا إلى الدين المدني عقائده بسيطة تقتصر على الإيمان بوجود إله حكيم وحياة أخرى،وقداسة العقد الاجتماعي والإيمان بالقوانين والتسامح وعدم التعصب ،وكان هذا واضحا في انعكاس هذه الأفكار على رجال الثورة الفرنسية."[3] فروسو يرفض الديانة المسيحية ويهاجمها ،ودعا إلى الدين المدني باعتباره يتمتع بالبساطة في قوانينه ،ووجود حكيم يحكم البشر بالعدل والمساواة بينهم.

"يقول جون جاك روسو في كلمته إن الملكية الخاصة والترف والإمعان في الشهوة هي سبب كل التعاسات المكدسة التي تقع على رؤوس الفقراء. والتي يحتملها الشعب لما طال إيهامه أنها أصلح الأنظمة للوجود الاجتماعي وانه السبيل لتخلص أغلبية من هذا الشقاء إلا بعودة الإنسانية إلى حالتها الطبيعية كانت هذه الكلمة هي الفكرة القادة في كتب روسو كلها وعلى أساسها وجه النقد المر لما اعتقده خروجا على الطبيعة

[1] عوض بالقاسم علي يونس،دور فلاسفة التنوير في قيام الثورة الفرنسية،جامعة عين شمس ،قسم الفلسفة،كلية الآداب ،القاهرة مصر،2016،2017،ص18.

[2] هيكل حسن ،جون جاك روسو حياته،كتبه،المرجع سبق ذكره،ص10.

[3] عوض بلقاسم علي يونس،دور الفلاسفة في قيام الثورة الفرنسية،المرجع سبق ذكره ،ص16

من علوم وفنون ومناظر وسوء تربية الناشئة وتحكم الاستبداد في رقاب البشر." [1]كما توجه روسو بالنقد اللاذع لتقدم العلوم وتراكم الثروات عند فئة قليلة من الناس ،ونقد المجتمع التعسفي القائم على الاستبداد ،ودافع روسو أيضا على الفقراء و المساكين دون مأوى،فهو يرى أن الترف الذي يعيشه طبقة النبلاء في فرنسا يستطيع أن يكفي وعالج ألف فقير من المرض والجوع.

واستند روسو في بناء أفكاره على فكرة أن الإنسان ولد حرا ،ولكن نراه في أغلال من حديد ،ولابد للسلطة أن تكون في يد الشعب ليقرر مصيره دون تسلط من أحد ،وعلى هذا الأساس بني نظريته في العقد الاجتماعي التي ترتكز على قاعدة أن الناس جميعا سواء من خلال الإرادة العامة لتقسيم الحرية والمساواة والعدالة.[2] ففي رأي روسو أن السلطة يجب أن تكون في يد الشعب، لكي يعيش هذا الأخير حريته المطلقة دون تسلط من طرف آخر ،والابتعاد عن الحكم المطلق والاستبدادي من أجل تطور المجتمعات البشرية.

[1]هيكل حسن ،جون جاك روسو حياته وكتبه،المرجع سبق ذكره ،ص10.

[2]برنار غروتويزن،تاريخ الثورة الفرنسية،مرجع سابق ،ص38.

المبحث الثاني : تأثير روسو على الفكر العربي:

لقد لعبت أفكار الفيلسوف الفرنسي جون جاك روسو دورا هاما في الثورة الفرنسية ،حيث كان له حضور وسط المفكرين العرب، حيث لاقت أفكاره تلقيا عربيا ، وسنعمد إلى دراسة هذا التلقي بشكل أساسي لإنتماءه للفكر التنويري الغربي في القرن الثامن عشر.

1- تأثير روسو على فرح أنطوان:

يعد السياسي" فرح أنطوان"* من بين المتأثرين و المعجبين بالفكر الغربي عامة و الثقافة الفرنسية خاصة ،حيث كان مغرما و مولعا بالآداب الفرنسية فعمل على دراستها،كما نجده "تأثر بالفيلسوف و المفكر الفرنسي الحر جون جاك روسو".[1]إن تأثره نلمسه بوضوح في كتاباته، فهو قارئ متميز لأفكار روسو في مجالاته السياسية و التربوية و الاجتماعية.

لقد كان تأثره بكتاب "إميل" واضحا، فهو كتاب تربوي قدمه روسو لامرأة ليعينها على تربية ولدها، يغلب عليه طابع النصح ،الوعظ والإرشاد، يقترح فيه روسو أن بداية حياة الطفل تكون بمعرفة البيئة المحيطة به، وتلقيه مبادئ الدين يساعده على النمو و يمنحه الشعور بالأمان و الثقة و الاطمئنان. بعد بلوغ السادسة عشر يتم الكشف عن الحقيقة بأنه لا يوجد ديانات آتية من السماء و أفضل شيء أن يتبع الديانة الطبيعية.

يجب اختيار -ايميل- طريقة الحياة حسب ميوله الحقيقية ،يكون أي شئ يريد أن يكونه، لكن بمحض ارادته، و لا يكون لأي إنسان التأثير عليه في اختياراته.

لقد تأثر فرح انطوان ب -إميل- من خلال فكرة الدين، فلا يجب على الإنسان أن يتعصب على أخيه في معنى لقول روسو "ليس على الإنسان أن يتعصب لدينه أو معتقده، فإن التركي الذي يسكن إستنامول لو قدر له أن يولد في أسرة باريسية متعصبة،لكان كاثوليكيا متعصبا، وفي المقابل فإن الباريسي لو ولد في

*فرح أنطوان1922-1874 من أعلام النهضة العلمانية العربية هاجر من طرابس لبنان إلى القاهرة عام 1897 ،اشتهر بدراسته عن فلسفة ابن رشد و تأثر بأعماله،.صحافي و روائي و مسرحي و كاتب ،ولد بطرابس لبنان و انتقل إلى الإسكندرية هربا بالاضطهاد العثماني 1897،اصدر مجلة الجامعة وتولى تحرير "صدى الأهرام".من أبرز المثقفين السياسيين و الإجتماعيين كما أنه رائد من رواد حركة التنوير.أعماله : ابن رشد و فلسفته ،تاريخ المسيح ترجمه إلى الفرنسية و. روايات مثل: الدين و العلم و المال ، الكوخ الهندي،اوراشليم الجديدة.

[1]حسن القدرة عبد العال ،جون جاك روسو على فرح أنطوان (دراسة مقارنة)،مجلة الجامعة الإسلامية ،مجلد10،عدد 1 ، عزة ، فلسطين ، 2002،ص215.

إستنامول في أسرة مسلمة محافظة، لكان مسلما متعصبا،و ضرورة الأخوة بين البشر " أنني احترم كل ديانة وكل مذهب يجد فيه متبعه السلام والمحبة والحق والفضيلة ، أما بالنسبة لي شخصيا أفضل أن أترك الأديان جانباً وأن اتبع الديانة الطبيعية " [1] .و نجد هذا عند فرح أنطوان في روايته "اورشليم الجديدة" بضرورة المآخاة بين البشر و المحبة و غيرها من القيم الفاضلة .وبالرغم من اختلاف الأديان بين البشر فإن مرجعها يعود لخالق واحد ، بعيدا كل البعد عن فكرة التعصب بين المسيحي و الكاثوليكي و الإسلامي ،لأن هدف الدين الأسمى هو نشر السلام و المحبة. ونجد أن روسو يمجد القانون الطبيعي ويؤكد على أنه يتبع الديانة الطبيعية .

وفي المقابل فرح أنطوان يحترم كل الديانات و المذاهب التي يجد فيها الإنسان راحته و يحس بالسلام، "يعتبر الدين المكان المناسب للأفراد، فهو مكان للسلام، ففيه توجد السعادة، والراحة، والأخوة، والمساواة، فهو يساعد الأفراد على نسيان كل النزاعات، حيث ينسى الإنسان كل مشاكله وكل مصائبه سواء كانت صغيرة أو كبيرة حتى و لو كان يعلم بها". وفي هذا الرأي يتوافق مع روسو ويسير على خطاه، فقط هناك اختلاف من حيث تبعيته الى الدين الطبيعي، ففرح أنطوان يقترح دين جديدا يقوم على تحقيق العدالة و الحق ،و فكرة التسامح و نبذ التعصب بين البشر.

و هذا ما يدل بوضوح على تأثير روسو على فرح أنطوان ،بأن الدين الذي يجمع البشر على السلام و الراحة بغض النظر عن طبيعة الدين الذي ينتمي إليه الفرد.

إن صلاح الهيئة الاجتماعية يكون بصلاح النساء حسب روسو كما جاء في كتابه المتقدم اميل أو التربية. فوظيفة المرأة تكون زوجة وأما، فتأثر فرح أنطوان في هذه المسائل بروسو.

كما اعتبر فرح أنطوان أن المرأة هي الصلاح الحقيقي للمجتمع فدورها يقوم على التربية والتعليم و تحرير المرأة ، و هذا ما جاء في مقالاته بمجلة المجتمع التى أصدرها تحت عنوان "تربية المرأة".

يقول فيها روسو :"يكون الرجال كما يريد النساء ، فإذا أردتم أن يكونوا عظماء و فضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة"[2]هنا يؤكد على تعليم أن المرأة كونها قائدة للمجتمع و الركيزة الأساسية له.و هنا نجد تأثر أنطوان بروسو.

---

[1] حسن قدرة ،عبد العال : تأثير جان جاك روسو على فرح أنطوان ،مرجع سابق ،ص218.

[2] عجيل منهل ،علي : المفكر فرح أنطوان و مفهوم التساهل و التسامح و تحرر المرأة ،مجلة الحوار المتمدن ،العدد 3085، سنة 2010 ، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=224030&nm=1 ،اطلع عليه 2022/04/05.

كما يرد فرج أنطوان أن يكون الرجال كما تريد النساء، كون المرأة المتسلطة على الرجل تجعله كما تريد فلها معنيين ايجابي و سلبي .فهذا الأخير (السلبي) يكون المجتمع رافضا لتسلط المرأة على الرجل و هو مرفوض حتى في جميع الأديان، حيث نجد أنطوان اعتبر الفساد يكون بتسلط الرجل على المرأة و هو ما يحدث الآن في مجتمعاتنا العربية نتيجة الجهل الديني و تأثره بالثقافة الغربية.

أما الايجابية، فتسلط المرأة على الرجل ثقافيا و اجتماعيا فذلك إثبات لدورها في المجتمع و منذ ولادتها وهي تحتل مكانة و متسلطة متمكنة حتى يأتي النصيب فتتزوج فتنجب فرحة الكل فيزيد الرزق ،فالمرأة كائن قوي قادر على القيام بالوظائف التعليمية و التربوية أكثر من الرجل و هذا ما يسموا إليه فرح أنطوان من خلال حرية المرأة و تعليمها لجعل مكانة لها في المجتمع فإذن المرأة متسلطة منذ ولادتها .

1-1- تأثير روسو إعدام المساواة على فكر فرح أنطوان:

كان لجون جاك روسو محاولات في الإجابة عن سؤال المسابقة الفرنسية التي ظهرت عام 1753م، في برنامج أكاديمية ديجون و السؤال كان ما هي أصول عدم المساواة بين الناس. فمن خلال أفكاره ألهمه خطابه المشهور "أصول عدم المساواة بين الناس " الذي ظهر عام 1755م الذي لم يلق نجاحا آنذاك، لكنه اشتهر في زمن آخر .و قد كان روسو دائما يفتخر بالإنسان الطبيعي الذي لم تفسده الحضارة ،و بينت لهم كماله كما أظهرت لهم في الوقت ذاته منابع و أسباب شقائهم .

نجد أن روسو دائما ما يمجد الحياة الطبيعية الأولى أو الحالة البدائية الأولى و العيش في أحضان الطبيعة الأولى ،حيث أنه كان معارض لحياة المدينة و حاربها بكل ما أوتي من قوة فحسب رأيه تكمن السعادة في الحياة الطبيعية إذ يقول في خطابه " فقد أصبحوا فقراء دون أن يخسروا شيئا لأنهم ظلوا على حالهم و لم يتغيروا في حين تغير كل شيء حولهم و لذلك اضطروا إلى قبول أقواتهم و اغتصابها من أيدي الأغنياء و من هنا بدأت السيطرة و لعبودية في النشوء ، و كذلك العنف و النهب تبعا لطبائع البشر "[1].

فالتمدن غير حياة الإنسان لقد كان هذا الأخير يعيش في قناعة و بساطة،حياة تملأها السعادة و الهناء الطبيعي ،إلى أن انتقل إلى حياة البذخ و لترف،إلى عصر المدينة الذي فيه تغيرت فيه طباع الإنسان و عرف فيه الظلم و الفساد و انتشرت فيه السرقة و النصب . يضيف أيضا في قوله :"أن ما يأتيه الأغنياء من

[1] روسو ،جان جاك :خطاب في أصل التفاوت و في أسسه بين البشر ،تر :بولس غانم ،مصدر سابق ،ص133.

اغتصابات و الفقراء من الأعمال اللصوصية ،و كذلك الأهواء الجامحة لدى الجميع و قد قتلت فيهم النحن الطبيعي و آخر أخرست صوت العدو ،و هو لا يزال خائف كل ذلك قد جعل البشر بخلاء و طماعين و أشرار ،و كل نزاع دائم يثور بين حق الأقوى و حق المتحور الأول و لا ينتهي إلا بمعارك و مذابح ،لقد أفسح المجتمع الناشئ لمكان لحالة الحرب هي أفضعها ".[1]

فالحياة المدنية عند حولت المساواة الطبيعي إلى تفاوت بين الناس فلقد عملت على زعزعت المبادئ و الشرائع و الآداب و الأديان ،فلقد أصبحت السلطة للأقوى ،القوي يسيطر على الضعيف،و الغني يأخذ حق الفقير أصبح مكان للحرب، كما أطلق عليه روسو.فهذه كلها أصبحت مصدر تأثير فرح أنطوان لدى شلال نياجرا، حيث يقول فيها:"أتذكر أيها الشلال يوم كان شاطئك مرتعا لألئك الهنود المساكين قبل أن يصل إليك البيض و يغتصبوا أرضهم هذا ظلما و عدوانا؟لا ريب في أنك تذكره لأنك كنت فيه معبودهم،فأولئك المساكين الذين كانوا يصطادون عراة الأبدان و تحمل أيديهم و الفؤوس و الحراب ، و يعيشون بالغزو و السطو كانوا أسعد حالا من هؤلاء البيض الوافدين على شاطئيك و قد ملئوها بالمدن و المنازل الفاخرة و راحوا بمنجزاتهم يتبخترون مثل الطاووس و صدقني أيها الشيخ أن هؤلاء كانوا أسلم طبعا و أبعد عن الخبث من هؤلاء".[2]

أشار فرح أنطوان أن الهنود كانوا يعيشون بصفة طبيعية هادئة و حرة إلا أنه لم يستمد الحال ،فقد تعرضوا للاحتلال من قبل البيض،سلبوا حريتهم و أرضهم ، عملوا على تغيير البلاء و جعلوا من السكان الأصليين عبيدا لهم .فنجد أن فرح أنطوان مع روسو في هذه الخطبة حيث تذكرنا بخطاب جون جاك روسو عن الإنسان الطبيعي و عيشه ببساطة سعيدا مستمتعا بحياته بعيدا عن حياة الصخب الحياة المدنية و الملكية التي كانت سببا في زعزعة المبادئ الأخلاقية و الدينية.

و هنا يكمن الوضوح في كتابات روسو كان لها تأثير واضح على الكاتب العربي فرح أنطوان في خطبته لدى شلال نياجرا و في عدة كتابات.

[1] المصدر نفسه ،ص133.

[2] حسن قدرة ،عبد العال :تأثير جام جاك روسو على فرح أنطوان ،مرجع سابق ،ص227.

2- تأثير جون جاك روسو على عبد الله العروي :

لقد شهدنا تأثر المفكر العربي فرح أنطوان كون جاك روسو إلا أنه هناك من تأثر أيضا به ألا و هو" عبد الله العروي"*، فقد ترجم الجزء الرابع من كتاب اميل تحت عنوان عقيدة قس جيل السافو ليكون عنوانه دين الفطرة.

لقد ترجمعبد الله العروي نص روسو و هذا من أجل توضيحه للمشكلات الموجودة في العالم العربي،منذ بداية منتصف القرن 18،شهدت أفكار جون جاك روسو منعطف فكري حيث أنها اقتربت من تمثل الفكر الإسلامي.و هذا "الفكر الغربي كان قريب من تمثل الفكر الإسلامي في منتصف قرن 18 فقط لا قبل ذلك و لا بعده "[1]

كان عبد الله العروي متأثرا بروسو و معجبا بأفكاره و نشهد هذا من خلال موقفه من الدين كونه مسألة خاصة و شخصية تخص مل فرد،و أنها علاقة خاصة لا تعنى بالإجبار أو التعصب.فكل فرد حر في إتباع أي معتقد يريده،كما أنه أسقطه و ربطه هذه الأفكار بالواقع العربي.روسو لم يتحدث في مسألة الدين بل على الهموم الدينية باعتبارها "أنها ملائمة للانسانية ".و يقول العروي بما مفاده أن روسو انتبه إلى الهم الديني و ضرورة إيجاد مخارج له على مستوى النظري .. و الدفاع عن البعد الذاتي في المسائل الدينية..أن الهم الذي عاد بعد أن غاب إن قدر له أن يغيب فهو لا محالة عائدا "[2]

حسب جون جاك روسو فإن التربية الدينية تعلم للأطفال منذ الخامسة عشر عام يوضح فيها" علاقة الخالق بالخلق و يركب في خطابه عقيدة بسيطة منافية للتعصب و مؤدية الى نوع من التهذيب المساعد في تكوين

---

* عبد الله العروي : من مواليد سنة 1933 ب أزمو ،مفكر و مؤرخ و روائي مغربي،يعتبر من المفكرين الذين اتخذوا التاريخانية مذهبا و فلسفة و منهجا ،يعد من بين دعاة تبني الحداثة الغربية كقيمة إنسانية ،أنصار القطيعة مع التراث العربي.
حائز على جائزة شخصية العام الثقافية في الدورة الحادي عشر لجائزة الشيخ زايد للكتاب 2017. من مؤلفاته: رواية الغربة 1971،العرب و الفكر التاريخي 1973، مفهوم الايديولوجيا 1980،ثقافتنا في منظور التاريخ 1983، من ديوان السياسة 2009،ترجم تأملات في تاريخ الرومان أسباب النهوض و الإنحطاط مونيسكو 2011.

[1] درويش حسام الدين ،جان جاك روسو و الاعتراف تمهيد في مشروعية دراسته فلسفيا و عربيا ، مجلة العكرة ،ادونيس ،فرح أنطوان ،مجلد 1 ، ،ص33.

[2] معروف ،محمود :أفكار روسو التنويرية و تمثلاتها في الجدل السياسي العربي ،أصداء عربية ،الرباط ،www.swissinfo.ch/ara/culture/32983534:https.2012، 2020/05/04.

المواطن و بناء مجتمع متجانس.إن التربية الدينية مهمة داخل المجتمع،يقوم بتلقينها تعمل على تحرير الذهن من الأفكار السلبية و كلما يلقن الطفل في سن متأخرة تعمل على تهذيبه مع الوقت يخلق لنا مجتمع جديد.

لقد عمل عبد الله العروي بنقل ما جاء في نصب روسو كما ورد و لم يقم بتأويل الكتاب إلى مفاهيم دينية إسلامية و كما أنه كان مطلع على ردود جون جاك روسو على الفلاسفة كلها فذكره بالكتب العربية و هذا ما ورد في قول العروي من خلال نص روسو :"اكتفيت بنقل النص لروسو الى العربية بصفة محايدة إذ يعتبر موضوع الكتاب تقليدي بالنسبة للقارئ العربي ،المسلم و غير المسلم يقرأ ردود روسو على الفلاسفة الماديين فيستحضر في الحين الغزالي و كتابه تهافت الفلاسفة ، يقرأ نقد لليهودية و النصرانية فيتذكر ابن حزم. و كتابه الفصل ،يقرأ تخيله فردا يعيش وحيدا في جزيرة منعزلة فيسترجع ابن الطفيل و قصة حي بن يقضان. يقرأ كلامه عن دين الظاهر و دين الباطن ،و عبادة الجوارح و القلب فيستذكر في الحين أقوال إبن رشد و محمد إقبال".[1]

لا يحدث أي تغيير و عمل على نقله دون تأويل إسلامي ،عند قراءته لردود الفلاسفة الماديين و نقده و إنكاره لها حيث يستحضر و يتذكر الكتب العربية.

إن سبيل الوصول إلى المعرفة الحقيقية و معرفة الذات الإلهية حسب ابن رشد هو بالحكمة و الشريعة في حين أن روسو "اعتبر مصدر الحقيقة الإيمانية يكمن بالعاطفة و الغريزة كما يعرفه"بأنها الغريزة الربانية أو نور الضمير هو الذي يسير آلة العقل و هو مقر الإيمان"[2].

يرجع روسو الإيمان إلى الغريزة و العاطفة و الوجدان و أن كل فرد له الحرية في ممارسة أي عقيدة في الدين .

يعتبر روسو مصدر الدين هو الوجدان وأنه يؤمن بالقوانين الطبيعية في الدين و هذا من خلال قوله:" مرجعه في حكم ضميره نور وجدانه الذي عمل القس على تصنيفه من شوائب الإتباع و التقليد ،حتى يظل بريئا ،نقيا صافيا كما خرج إلى الوجود ،و حتى ينعكس فيه مباشرة و نصدق خطاب الصانع الأول "[3]

[1] روسو ،جون جاك :دين الفطرة ،تر:عبد الله العروي ،المركز الثقافي ،ط1 ، بيروت ،لبنان ،2012 ،ص18.
[2] جون جاك روسو ،دين الفطرة ،تر:عبد الله العروي ،مصدر سابق ، ص30.
[3] المصدر نفسه ، ص17.

البحث الثالث : مقارنة بين جون جاك روسو وجون لوك

تعتبر نظرية العقد الاجتماعي من بين النظريات التي ساهمت في الحفاظ على الحقوق الطبيعية والحريات الإنسانية،فجاءت هذه الفكرة من أجل تنظيم حياة الشعوب التي تفتقر إلى القوانين والحكومة،ولكي يتغلبوا الأفراد على تلك المشاكل والصعوبات عليهم أن يخرجوا من حياة الفوضى إلى النظام،فاختلفت الحالة الطبيعية مع فلاسفة العقد الاجتماعي فكل منهما كانت له وجهة نظر للحالة الطبيعية أو البدائية ،فعند هوبز كانت حالة مليئة بالصراعات والحروب الدموية ،والكل ضد الكل،أما عند جون لوك هي حالة حرية ومساواة ،أما فيما يخص روسو ،فقد رأى الحالة الطبيعية هي حالة تسودها السعادة والهناء ،وهي حالة خيرة يعيشها الإنسان الأول،ولذلك سنعرض من خلال ما سبق ذكره أوجه التشابه والاختلاف بين لوك وروسو.

1- أوجه التشابه :

يتفق كل من روسو ولوك "إن الناس بطبيعتهم أخيارا وليسوا أشرار ،وأن نظام الطبيعة كان قائما على السعادة ،وقد أدركه الإنسان من خلال عقله."[1] فالحالة الطبيعية عند لوك وروسو هي حالة خيرة بعيدة عن الحرب والصراع ،حالة حرية تامة ،يستطيع كل شخص التصرف في حياته بالطريقة التي يراها أفضل من أجل الحفاظ على بقائهم والعيش في سلام وطمأنينة،فالحالة الطبيعة عند لوك وروسو حالة من المساواة واستقلال دون تدخل الآخر ،على عكس ما يراها هوبز هي حالة دمار وحرب.

لقد أشار كل من روسو ولوك بأنه"لحالة الطبيعة قانونا يحكمها وهو القانون الذي يعلم البشر جمعاء أن الناس سواسية أمام القانون العام ،لذلك لا يخضع الواحد للآخر خضوع إرادة ،ولكن خضوع حاجة."[2]

اتفق روسو ولوك "أن اختيار الحاكم قائم على عنصر الرضا ،يتنازل الشعب عن القدر اللازم لإقامة السلطة من أنفسهم لأنفسهم ،وأن السلطة في يد الشعب لأن مرجعها إلى الشعب وإلى الشعب وحده."[3]

---

[1]فضل الله محمد إسماعيل،نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي،ص213.

[2]فضل الله محمد إسماعيل ،المرجع السابق،ص214.

[3]المرجع السابق،ص216.

فحسب روسو ولوك إن حياة الطبيعة تأسس من خلال التعاقد والميثاق المبرم بين الناس ،من أجل إنشاء مؤسسة قوية هي الدولة ،التي تشرف على تنظيم العلاقات بين الأفراد وفق قواعد وقوانين تحفظ مصالحهم العامة والخاصة ،فالحاكم يختاره الشعب ،وهذا الأخير حسب روسو ولوك هو صاحب السلطة والسيادة.

أرجع جان جاك روسو وجون لوك "إن السبب الجوهري في عدم حماية حقوق الإنسان ،هو تركيز السلطات في يد الحاكم ،لذلك فنظام الفصل بين السلطات يؤدي إلى استمتاع المواطن بحريته الذي يدفعه بالإدلاء برأيه عن أمته ."[1] فهنا يبين روسو ولوك أنه لحماية الحقوق الطبيعية للأفراد وجب الفصل بين السلطات ،من أجل الوصول إلى الحرية والمساواة بين الناس ،وهذا هو هدف العقد الاجتماعي عند لوك وروسو.

يرى كل من روسو ولوك" أن على الشعب أن يعطي للحكومة سلطات أوسع ،طالما الشعب يفرض الرقابة عليها ،لأن السيادة تكمن في الشعب، والحكومة هي التي تحافظ على هذه السيادة ،بمحافظتها على الحقوق الطبيعية التي لا يمكن أن تسقط بالتقادم،وهذه الحقوق هي الحرية والملكية ،والحق في الأمن وفي مقاومة الجور ،وأن جهل حقوق الإنسان ،ونسيانها واحتكارها هي الأسباب الوحيدة للبأس العام وفساد الحكومات."[2] فتجاهل حقوق وحريات الإنسان التي منحتها له الطبيعة يودي هذا إلى مجتمع بائس وحكومة فاسدة لأن روسو ولوك أعطوا أهمية كبيرة لقيمة الإنسان والإعلان عن حقوقه من أجل الحفاظ على سلامته وأمنه واستقراره ،فكل من لوك وروسو نادوا بالحفاظ على حقوق الإنسان.

كما أوضح كل من روسو ولوك "بأن صفة العبودية للإنسان أمر مرفوض لأن معنى العبودية إنسان لبني جنسه أن يملكه مفتاح شخصيته ،حتى عواطفه وشهواته ."[3] يرفض روسو ولوك النظام الاستبدادي المطلق الذي يكبل حرية الفرد ويجعلها في يد حاكم مستبد ،وهذا أمر مرفوض عندهم ،فهم يعتبرون الإنسان كائنا حر له حقوق طبيعية لا يمكن المساس بها أو انتهاكها.

وللحديث أيضا عن أشكال الحكومات ونظام الفصل بين السلطات "أشار لوك وروسو إلى أهمية النظام الديمقراطي بقوله:"لو قد للآلهة أن ينزلوا لحكم أهل الأرض لحكموها ديمقراطيا،لأنه يقوم على الانتخاب الحر

---

[1] فضل الله محمد إسماعيل، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي العربي، مرجع سابق،ص217.
[2] مرجع نفسه،ص219.
[3] مرجع نفسه ،ص220 .

المعبر عن واقع الجماعة صاحبة السيادة."[1] فحسب روسو ولوك النظام الأمثل هو النظام الديمقراطي ،فالفرد له حرية الاختيار والتعبير.

استعرض كل من روسو ولوك بعض المفردات في الفكر السياسي ومن بينها هي"حرية الإنسان وإقرار كرامته وأمنه واستقراره ،وتحديد سلطة الحكومة ووضوح القوانين ،ودور الشعب في اختيار حكامه،ووعيهم بقدسية الاختيار ،وأن الحكومة ما وجدت إلا لكي تصلح ،كما أنها ليست عصا إرهاب إلا على الخارجين على طبيعة قوانينها ،كما أن الطاعة للحاكم أمر واجب ،بشرط انعدام الظلم على المحكومين."[2]

2- أوجه لاختلاف :

بالرغم من الحياة الصعبة التي كان يعيشها الإنسان سابقا ،كانت الحالة الطبيعية تفتقر إلى دولة و حكومة و قوانين تضبط حياتهم،لذا كان على المجتمع الدخول في اتفاق. أسموه العقد الاجتماعي ،حيث شهدنا أوجه التشابه بين الفلاسفة جون لوك و روسو من بينها اتفاقهم على أن الحالة الطبيعية للفرد هي خيرة و ليست شريرة فهي سبب في سعادته بذاته التي تحمل القيم الإنسانية التي لا يمكن التخلي عنها ،إلا أنهم لم يتفقوا في عدة أمور ،من بين الاختلافات نجد:

فالحالة الطبيعية:اعتبر روسو أن الحالة الطبيعية عبارة عن حالة استقرار ،يكون الأفراد فيها مستقلين عن بعضهم البعض لكنهم متساوون بالطبيعة ، و "ذلك أن طبيعة البشر هي طبيعة غريزية تحكمها العاطفة و الرأفة التي تعتبر مصدر سعادة للبشر"[3]

يرجع روسو أن مصدر السعادة يكون عن طريق الغريزة و العاطفة .أما بالنسبة لجون لوك فيؤمن أن الحياة الطبيعية تكون من خلال المساواة و الحرية.حيث يبين ذلك في قوله:"لا أحد يجهل القواعد و القوانين المختلفة التي يستنبطها العقل الطبيعي من هذا التساوي بيننا و بين من هم بمثابة ذواتنا من أجل تنظيم الحياة ".[4]

---

[1]فضل الله محمد إسماعيل، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي العربي، مرجع سابق، ص220.

[2]مرجع نفسه، ص221.

[3]الحاج رياني ،نظرية في العقد الاجتماعي تأصيل لحقوق الإنسان عند هوبز ،لوك ،روسو،رسالة ماجستير،جامعة الجزائر ،قسم فلسفة ،2002/2006.ص123.

[4]جون لوك،في الحكم المدني ،تر:ماجد فخري،اللجنة الدولية للترجمة الروائع،بيروت،1959،ص140.

-حيث يرجع أن مصدر السعادة يحكمها العقل،فالفرد لا يمكن أن يدرك إلا من خلال العقل فهو الذي ينظم حياته.

حسب روسو فإن الإنسان يدرك الحالة الطبيعية بالغريزة و العاطفة فعنده يعتبرها مثالية من الحرية و المساواة .عكس جون الذي يرجع مصدرها العقل. أما فكرة الملكية عند روسو أنتجت حالة من التفاوت بين الناس ،فقط دخل البشر في حالة من الصراعات و الحروب .

إلا أن هذه الظاهرة قديمة و ليست جديدة حيث يتصور أن :"أن المجتمع الطبيعي الذي بدأ صدفة في الظهور يقتضي تقدما في المعرفة و الوعي ،وهو يتماشى مع منطق تطور الطبيعة البشرية ،و ذلك يعرض تترية هذه الطبيعة عن الوقوع في الخطأ ،لذلك فإن فكرة التملك يعتبرها خطوة أولى عن طريق الخروج من الحالة الطبيعية "[1].

أنا عند جون لوك فنشهد ان الانتقال من الحالة الطبيعية إلى المجتمع المدني هو البحث عن وضع أفضل يكون الفرد فيه متحصل على الأمن و الأمان ، و تكون الأملاك محفوظة ،يؤكد لوك :" رغم محاسن الطور الطبيعي لفرط ما يصيبهم من عناء وهم على هذا وهم

على هذا الطور ، لذلك يتفق أننا فلما نجد عددا من الناس يعيشون معا في هذا الطور ، فالمخاطر التي يتعرضون لها فيه من جراء هذه السلطة المتقلبة الهوجاء التي تحول كل امرئ الحق بمعاقبة إساءات الآخرين ،ترغمهم على الالتجاء إلى قوانين الحكومات الثابتة حيث يتاح لهم المحافظة على أملاكهم.

كما أن لوك حسب نظرية العقد الاجتماعي أنا لفرد يتنازل عن بعض حقوقه للسلطان لكن بشروط ،بهذا تكون الحياة منظمة و يحافظ فيها على حقوق و ممتلكاتهم على جميع الأصعدة .أما بالنسبة لروسو فيختلف الأمر فالفرد في العقد الاجتماعي يتنازل عن حقوقه لبعض البعض ،بمعنى آخر تنازل الفرد عن حقوقه للإرادة العامة ،دون أن يفقد الأفراد حرياتهم و حقوقهم مع مراعاة المحافظة على الحقوق و الحريات.لقوله: "

[1]جون لوك ،الحكم المدني،ص213

ومن المعلوم أن هذه الشروط تختزل فيشرط واحد ألا وهو أن يتنازل كل شريك في الاجتماع عن شخصه وعن جميع حقوقه تنازلا تاما للمجموعة لها ".[1]

يطبق هذا الشرط على الجميع دون أن يفقد فرد حق له أو حريته.فالعقد عن روسو يكون اتفاق بين المواطنين يبرم بينهم ،و يكون بالتراضي لقوله :" البشر لا يستطعون إنتاج قوى جديدة ،و إنما يمكنهم إن يتخذوا و أن يسيروا الموجود من القوى ،لم يبقى لهم من وسيلة للبقاء على أنفسهم إلا أن يشكلوا بتكتلاتهم مجموع قوى يمكننها التغلب على المقاومة ،و يمكنها أن تدفع بهذه القوى إلى الحركة بدافع واحد و إن تجعلها تفعل بالتناسق معها " [2]

ان العقد الاجتماعي عند روسو اتفاق قائم بين الشعب و ليس قائم على القوة التي يمتلكها للسيطرة على الآخرين.

إن الحكم عند روسو تكون للإرادة العامة ،حيث أن الإفراد يتفقون على إقامة مجتمع منظم يتنازلون فيه عن حقوقهم للسادة .

فالنظام الأمثل لروسو هو النظام الديمقراطي يقوم على العمل الحر و الانتخاب و إبداء الرأي للشعب بكل شفافية فيه و الحرية تامة و هذا ما يؤدي بارتباط سلطة التنفيذية بالتشريعية .

أما بالنسبة لروسو فان العقد الاجتماعي هو اتفاق بين الأفراد و الحاكم ،فيرى روسو :"تنازل الفرد عن حقوقه ليس تنازلا للحاكم بل هو تنازل المجتمع لتكون الكلمة الأولى للرعية ". [3]
فان الحاكم تكون له السلطة المطلقة على رعيته ،و ذلك بمراعاة تطبيق نظام الأمن و الاستقرار لهم ،كما أن القانون يمنح الفرد الحرية المطلقة في فعل ما يريده ما دام لم يخترق القانون فبتجاوزه للقوانين يفقد حريته و منه وجب طاعة الحاكم و عدم الخروج عن طوعه.

[1]جون جاك روسو ،في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي،ص93.

[2]فضل الله محمد إسماعيل ، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي الحديث ،ص92.

[3]فضل الله محمد إسماعيل ،مرجع نفسه ،ص27.

تعتبر فلسفة جون جاك روسو فلسفة قامت بتحرير الإنسان من مظاهر الظلم والاستبداد ،التي كانت سائدة عند الشعب الفرنسي في القرن 18عشر ،وهذا بإعطائه قيمة للإنسان في الدولة التي كانت مسلوبة آنذاك،باعتبار الفرد له حقوق طبيعية لا يمكن سلبها منه ،حيث ساهمت تلك الظروف التي عاشها المجتمع الفرنسي في إنشاء وتكوين أفكار ومفاهيم فكر روسو ،وجعلت منه فيلسوف ابن بيئته.

آمن روسو أن الحرية أساس الوجود الإنساني مرتبطة به ارتباطا وثيقا ،بحيث تحقق له ماهيته ،وانعدامها يعني انعدام كصفة إنسان فيه.

يعتبر جون جاك روسو فيلسوف عظيم نادى بالديمقراطية والسيادة والحرية،التي تعتبر الركائز الأساسية لأي نظام سياسي ناجح،وامتدت أفكاره حتى العصر المعاصر ،وهذا ما يجعله فيلسوف معاصر لما قدمه من افكار.

– وفي الأخير قمنا بإجراء مقارنة طفيفة بين روسو ولوك وأبرزنا أهم النقاط التي تشابه واختلفا فيها .

خلاصة الفصل الثالث:

-تعتبر فلسفة جون جاك روسو فلسفة قامت بتحرير الإنسان من مظاهر الظلم والاستبداد ،التي كانت سائدة عند الشعب الفرنسي في القرن 18عشر ،وهذا بإعطائه قيمة للإنسان في الدولة التي كانت مسلوبة آنذاك،باعتبار الفرد له حقوق طبيعية لا يمكن سلبها منه ،حيث ساهمت تلك الظروف التي عاشها المجتمع الفرنسي في إنشاء وتكوين أفكار ومفاهيم فكر روسو ،وجعلت منه فيلسوف ابن بيئته.

– آمن روسو أن الحرية أساس الوجود الإنساني مرتبطة به ارتباطا وثيقا ،بحيث تحقق له ماهيته ،وانعدامها يعني انعدام كصفة إنسان فيه.

– يعتبر جون جاك روسو فيلسوف عظيم نادى بالديمقراطية والسيادة والحرية،التي تعتبر الركائز الأساسية لأي نظام سياسي ناجح،وامتدت أفكاره حتى العصر المعاصر ،وهذا ما يجعله فيلسوف معاصر لما قدمه من أفكار.

– وفي الأخير قمنا بإجراء مقارنة بسيطة بين روسو ولوك وأبرزنا أهم النقاط التي تشابه واختلفا فيها.

الخاتمة العامة

خاتمة:

من خلال ماتم تحليله في هذه الدراسة ،وبعد الإلمام بمجمل الأفكار حول النظرية السياسية عند روسو ،بإعتباره الفيلسوف المحب الطبيعة ،فيعتبر المرجع المهم والأساسي الذي لا يمكن تجاوزه والإستغناء عنه ،بإعتباره أبا روحيا الثورة الفرنسية ،وأول من دعا إلى التطور الإجتماعي،فحملت نظريته مبادئ صنعت إنسانية الإنسان ،ورفع من قيمة الإنسان ،ومنحت له حقوق لايمكن الإستعناء عنها أو سلبها .

وبالرغم من وجود نظرية العقد الإجتماعي قديما في فلسفات عديدة ،إلا أن روسو كان له دور وبصمته الخاصة ،فهو لم يقلد الفلاسفة الذين سبقوه ،بل نظريته تختلف إختلافا جذريا عن كل ما ذهب إليه فلاسفة العقد الإجتماعي خاصة توماس هوبز وجون لوك.

– لقد كان جون جاك روسو من بين الفلاسفة العقد الإجتماعي ،الذي أعطى قيمة ومكانة كبيرة للبشرية،ويعتبر المرجع المهم التي لا يمكن الإستغناء عليه في الفكر الفلسفي الحديث.

– يعتبر روسو أن كل شئ في الطبيعة خير ،يعيش الإنسان في هذه الحالة في خير ومحبة وسعادة ،وأهم شئ أن يتمتع بحرية مطلقة ،فالطبيعة بالنسبة له بمثابة الأم التي تفتح صدرها لإستقبال الإنسان والعناية به،فالطبيعة خلقت الإنسان طيب وأن المجتمع هو الذي أفسده.

ويوضح روسو أن من أهم أسباب ومظاهر الحرب والصراع والفساد،التي تعاني منها البشرية ،كانت نتيجة التقدم اللاذع وعصر المدينة ،أي التقدم الذي شهده المجتمع.

– يرى روسو أن العقد هو إلتزام جماعي بين أفراد المجتمع مع الكل ،بالتراضي والتوافق دون أي ضغط خارجي ،فروسو ينادي بالعدل والمساواة والحرية،لا القوة،فاعترض على فكرة أن يكون الحكم للأقوى ،ففي نظره القوة ليست معيار النجاح ،فبرأيه إن لم يأتي حاكم يلبي إحتياجات الإنسان المادية والمعنوية فستكون المعادلة ناقصة ،ولم يتمكن المجتمع من التقدم والإزدهار ،وحل روسو هذه المعظلة بالعقد الإجتماعي بين أفراد المجتمع،فهذا الأخير حسب روسو ليس مجرد فكرة أو مصطلح بل هو جزء من الفرد ،والفرد جزء من المجتمع أحدهما يكمل الآخر.

– نظرية العقد عند روسو لايمكن لها أن تقوم على القوة ،بل هي قائمة على دفاع حقوق الإنسان ،ففلاسفة العقد الإجتماعي كانوا لهم تصور واحد للحالة الطبيعية بأنها قائمة على الحرية والمساوة.

– يمتاز العقد الإجتماعي عنده بأنه يقوم على تخلي الناس عن حقوقهم الطبيعية للدولة،وهذه الأخيرة تعيدها لهم وتصبح حقوق مدنية ،وبالتالي تصبح للحرية والمساواة أساس إجتماعي لا يمكن التخلي والتنازل عنهم لشخص آخر.

– هدف الحرية الطبيعية هي بناء حياة إجتماعية حقة.

– أما بالنسبة للحكومة عند روسو تكون ديمقراطية تستمد قوتها وسلطتها من إرادة الشعب،أي الإرادة العامة .

– فهدف تكوين الدولة والعقد عند روسو ،من أجل الإبتعاد عن الشرور التي بدأت تطرأ في الحالة الطبيعية .

– فلسفة العقد الإجتماعي عند روسو لعبت دورا كبيرا في قيام الثورة الفرنسية ،حيث إعتبر روسو إنجيل الثورة الفرنسية ،لأنه لعب دورا مرموقا في بناء التفكير السياسي ،خاصة دفاعه عن حقوق الإنسان بإعتبارها حقوق طبيعية لا يمكن التنازل عنها .

قائمة المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

أ- القرآن الكريم

ب- المصادر :

1. جون جاك روسو ،في العقد الاجتماعي ،تر: عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، مصر، 2012.
2. جون جاك روسو ، العقد الاجتماعي ، تر: عادل زعيتر ، دار تلانتيقيت للنشر ، الجزائر ، 2018
3. روسو (جون جاك)،إميل، تر: عادل زعيتر، ط1 ،دار المعارف، القاهرة، 1936.
4. روسو(جون جاك)، أصل التفاوت بين الناس، تر: بولس غانم، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 1991.
5. روسو(جون جاك)، في العقد الاجتماعي ومبادئ القانون السياسي، تر: عبد العزيز لبيب، مركز الدراسات العربية، بيروت، 2011.
6. روسو (جون جاك)، في العقد الاجتماعي،تر: ذوقان قرقوط، دار القلم، بيروت.
7. روسو(جون جاك)،أصل التفاوت بين الناس،تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، .2012
8. جون جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس،تر:عادل زعيتر،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة،مصر،دط.
9.

<u>مراجع :</u>

1. ابن خلدون ، مقدمة ، دار احياء التراث العربي ، ط4، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي ، 2015.
2. أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، دار المشرق بيروت، لبنان، دط دس
3. أفلاطون ، الجمهورية ، ترجمة فؤاد زكرياء ، دار الوفاء للطباعة و النشر ، الاسكندرية ، القاهرة،2003.
4. أفلاطون ، الجمهورية ، حنا خباز ، المطبعة المصرية ، القاهرة، مصر،2012.
5. أفلاطون، الجمهورية، ،سلسلة أنيس، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 1994.
6. إمام عبد الفتاح إمام ،توماس هوبز فيلسوف العقلانية،دط،دار الثقافة لنشر والتوزيع الأزهر،1985.
7. امتم عبد الفتاح امام ، اخلاق و سياسة ، المجلس الأعلى للثقافة ، د ط ، د س.
8. بيرتراند راسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، تر محمد فتحي شنيطي ، الكتاب 3 ، المصرية الحمامة للمتاب ، 1988.
9. ديلو،المجتمع المدني بين التفكير السياسي والنظرية السياسية،تر:ربيع وهبة،(د.ط)،(د.ب)،(د.د)،(د.س).

10. بيرنارد (غروتريزن)، فلسفة الثورة الفرنسية، تر: عيسى عصفور،ط1،منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1982.
11. جورج سعد ، تطور الفكر السياسي في العصور القديمة و الوسطى ، منشورات الخير الحقوقية ، بيروت ، لبنان.
12. جون لوك، في الحكم المدني، تر: ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع اإلنسانية، دط، 1992.
13. حسن هيكل (محمد)، روسو حياته وكتبه، دار المعارف، القاهرة.
14. ديوارانت ، ول وايريل: قصة الحضارة (روسو والثورة) الجزء1، تر: فؤاد أندراوس، دار الجبل للطباعة والنشر، دط ، بيروت.
15. راسل (برتراند)، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنيطي، الكتاب 3 ،المصرية الحمامة للكتاب، 1988.
16. زروخي اسماعيل،دراسات في الفلسفة السياسية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة الطبعة الأولى،2012.
17. سوبول ألبير،تاريخ الثورة الفرنسية ،تر:جورج كوسى،منشورات عويدات ط4،بيروت،لبنان،1989.
18. عامر السوداني، أنسام: فلسفة حقوق الإنسان هوبز لوك مونتيسيكو روسو، مكتبة مومن قريش ،ط2،بيروت ،لبنان،2017.
19. عبد السلام بن عيد ، فلسفة سياسية عند الفرابي ، ط4 ، دمشق ، سوريا 1997.
20. عبد الله المعطي محمد ،علي ،تيارات الفلسفة الحديثة ،دار المعارف الجامعية ،دط،الإسكندرية مصر،1998.
21. علي سعد الله ، نظرية الدولة ، الفكر الخلدوني ، دار المجداوي ، عمان ، 2003.
22. عودة عباس فرج ، دولة في الفكر الفقهي عند السيد محمد باقر الصدر ، مؤسسة آفاق للدراسات و الأبحاث العرقية ، بغداد ، 2009.
23. عوض لويس ،الثورة الفرنسية ،الهيئة المصرية العامة الكتاب ،دط،مصر ،1992.
24. غوساف بيشوب موريس ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، تر علي السيد ، المجلس الأعلى للنشر ، ط1 ، 2005.
25. غروتوويزن برنار ، فلسفة الثورة الفرنسية ، تر عيسى عصفور ، منشورات عويدات ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1982.
26. فضل الله محمد إسماعيل . السعيد محمد عثمان ، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي الحديث ، الإسكندرية : ستان المعرفة ، 2006.
27. سوبول البير ، تاريخ الثورة الفرنسية ، تر : جورج ، منشورات عويدات ، ط4 ، بيروت ، لبنان ، 1989.
28. كرم (يوسف)، تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

29. كريستون (أندريه)، روسو حياته-مؤلفاته- منتخبات،ط4،دار الصقر منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1988.
30. لوك (جون)، في الحكم المدني، تر: مجاهد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، ط1.
31. مارسيل بريلو ، علم السياسة ، ترجمة محمد برجاوي ، ط3 ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1983.
32. محمد إسماعيل (فضل الله)، الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث، ط1 ،بستان المعرفة للطيع والنشر والتوزيع، الإسكندرية.
33. محمد حربي ، ملامح الفكر السياسي في الإسلام ، ط1 ، دار الوفاء للطباعة و النشر ، 2010
34. محمد نصير مهنا ، في تاريخ الأفكار السياسة وتنظير السلطة ، الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث ، 1999 .
35. منذر الشاوي ، الدولة الديموقراطية في الفلسفة السياسية و القانونية ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2000.
36. المستكاوي (نجيب)، جون جاك روسو –حياته-مؤلفاته- غرامياته، دار الشروق، القاهرة، 1989..
37. مطر (أميرة)، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، ط5 ،دار المعارف، القاهرة، 2005
38. نازلي إسماعيل حسين، الشعب و التاريخ، هيجل، دار المعارف بمصر القاهرة.
39. برنار غروتويزن، فلسفة الثورة الفرنسية، منشورات بحر المتوسط و منشورات عويدات بيروت باريس، ط1 ،1982.
40. وقيع الله (محمد)، مدخل إلى الفلسفة السياسية،ط1 ،دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001
41. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، 2012.
42. توم بوتمور، تمهيد في علم الاجتماع السياسي،تر :وميض نظمي ، ط1،دار الطليعة للطباعة و للنشر ،1986.
43. ابن خلدون ،المقدمة ، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي،2015.
44. جون لوك،الحكومة المدنيةوصلتها بنظرية العقد الإجاماعي،تر:محمود وشوقي الكميال،دار القومية لطباعة والنشر،دط.
45. برتراند راسل،تاريخ الفلسفة الغربية،تر:محمد فتحي الشنيطي،الكتاب3،المصرية الحمامة للكتاب،1988.
46. وبون،روح الثورات والثورة الفرنسية،تر:عادل زعيتر،كلمات عربية للترجمةوالنشر،دط،2012،القاهرة ،مصر
47. ديوارانت،ول وايريل،قصة الحضارة (روسو والثورة) ،تر:أندراوس فواد

ج. قائمة الموسوعات والمعاجم

1. ابن منظور، لسان العرب ،دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع،ط1، بيروت، 1928.

2. أندري (لالاند)، الموسوعة الفلسفية، تعريب: خليل أحمد، إشراف أحمد عويدات ،ط2، منشورات بيروت، باريس، 2001.

3. جورج (طرابيشي)، معجم الفلاسفة، ط2 ،دار الطليعة، بيروت، 1997.

4. فؤاد مصطفى (حسيبة)، المعجم الفلسفي، ج1 ،ط1 ،دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009. زكريا، دراسة لجمهورية أفلاطون، (دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، 1967).

5. مراد وهبة ،المعجم الفلسفي ،دار قباء الحديثة ،القاهرة ،دط، 2007.

6. جميل صليبا،المعجم الفلسفي،دار الكتاب اللبناني،ج1،(دط)،بيروت،1982.

7. روسو ،جون جاك :دين الفطرة ،تر:عبد اللع العروي ،المركز الثقافي ،ط1 ، بيروت ،لبنان ،2012

المجلات والدوريات:

1- صباح كريم رياح الفتلاوي ، نظرية الحق الإلهي (دراسة مقارنة) ، جامعة الكوفة، مركز دراسات الكوفة ، 2008.

2- حسن القدرة عبد العال ،جون جاك روسو على فرح أنطوان (دراسة مقارنة)،مجلة الجامعة الاسلامية ،مجلد10،عدد 1 ، عزة ، فلسطين ، 2002.

3- عجيل منهل ،علي : المفكر فرح أنطوان و مفهوم التساهل و التسامح و تحرر المرأة ،مجلة الحوار المتمدن ،العدد 3085، سنة 2010.

4- درويش حسام الدين ،جان جاك روسو و الاعتراف تمهيد في مشروعية دراسته فلسفيا و عربيا ، مجلة العكرة ،ادونيس ،فرح انطوان ،مجلد 1.

5- معروف محمود :أفكار روسو التنويرية و تمثلاتها في الجدل السياسي العربي ،أصداء عربية ،الرباط ،2012.
https:www.swissinfo.ch/ara/culture/32983534.2020/05/04،

6- حسن القدرة عبد العال ،جون جاك روسو على فرح أنطوان (دراسة مقارنة)،مجلة الجامعة الاسلامية ،مجلد10،عدد 1 ، عزة ، فلسطين ، 2002،ص215.

7- عجيل منهل ،علي : المفكر فرح أنطوان و مفهوم التساهل و التسامح و تحرر المرأة ،مجلة الحوار المتمدن ،العدد 3085، سنة 2010 ،

ا،http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=224030&nm=1
طلع عليه 2022/04/05.

8- درويش حسام الدين ،جان جاك روسو و الاعتراف تمهيد في مشروعية دراسته فلسفيا و عربيا ، مجلة العكرة ،ادونيس ،فرح انطوان ،مجلد 1 ، ،ص33.

9- معروف ،محمود :افكار روسو التنويرية و تمثلاتها في الجدل السياسي العربي ،أصداء عربية ،الرباط
،https:www.swissinfo.ch/ara/culture/32983534.2012،
.04/05/2020

الرسائل الجامعية:

1. الحاج رباني ، نظرية في العقد الاجتماعي كتأصيل لحقوق الإنسان عند هوبز ، لوك ، روسو ، رسالة ماجستير ، قسم الفلسفة ، بجامعة الجزائر ، 2002 / 2003.
2. رزيق (فوزية)، معالم فلسفة روسو على ضوء قصة إميل، مذكرة ماستر (غير منشورة)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، 2012.
3. مويسات حنان ،الفكر السياسي في فلسفة جون جاك روسو ،مذكرة ماستر ،كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ،جامعة بوضياف ،المسيلة ، 2016-2017

الملخص:

يعتبر جون جاك روسو فيلسوفا سياسيا متميزا، تختلف عبقريته عن غيره من الفلاسفة، اذ تركت أعماله وأفكاره بصمة في الفكر السياسي، باعتباره فيسلوفا للطبيعة، فالطبيعة أساس الخير والجمال، حيث دعا إلى المجتمع الطبيعي القائم على الحرية والعدالة والمساواة، وهي أسس ينبغي أن يقوم عليها المجتمع المدني، وأن إصلاح هذا الأخير يقوم بتجذير هذه الممارسات وتكريسها في الحياة الاجتماعية، كما ناضل روسو من أجل ترسيخ حقوق الإنسان، وهي أهم الأهداف التي ينبغي أن تحميها الدولة، حيث تعتبر هذه الأخيرة من أهم المسائل الإنسانية لارتباطها الوثيق بالإنسان وماهيته باعتباره كائنا حرا .

ناضلت فلسفة روسو لصالح الفرد وحقوقه والمجتمع وقيمه، وذلك برفضه لكل تغير اجتماعي على حساب الأفراد. وتوصل في الأخير إلى أن الديقراطية تشكل النظام الأفضل للاجتماع الإنساني الحديث. فنظريته السياسية تشكل نظرية متكاملة، رغم أنها تشترك مع غيرها من النظريات، إلا أنها تشكل مذهبا سياسيا منفردا.

Résumé :

Jean-Jacques Rousseau est considéré comme un philosophe politique distingué, dont le génie diffère des autres philosophes, car ses œuvres et ses idées ont marqué la pensée

politique, car il est un philosophe de la nature. La nature est la base de la bonté et de la beauté. Société civile se fonde sur elle, et la réforme de celle-ci enracine ces pratiques et les consacre dans la vie sociale. Rousseau a également lutté pour la consolidation des droits de l'homme, qui sont les objectifs les plus importants que l'État doit protéger, car ce dernier est considéré comme l'un des questions humaines les plus importantes en raison de son lien étroit avec l'être humain et son essence en tant qu'être libre. .La philosophie de Rousseau a lutté pour le bien de l'individu, de ses droits, de la société et de ses valeurs, en rejetant tout changement social aux dépens des individus. Enfin, il a conclu que la démocratie est le meilleur système pour la société humaine moderne. Sa théorie politique constitue une théorie intégrée, bien qu'elle partage avec d'autres théories, elle constitue une doctrine politique unique.

تم بحمد الله